المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة القصيم
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
قسم اللغة العربية وآدابها

الشواهد والأمثلة في مقررات البلاغة المدرسية

" دراسة بلاغية وصفية تحليلية "

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير
في قسم اللغة العربية وآدابها

(الدراسات الأدبية)

إعداد الطالب

خالد بن ناصر بن فراج الفريدي
٣٠٢٩٠٢٣٨٤

إشراف الدكتور:

محمد بن عبدالرحمن الخرَّاز

الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم

١٤٣٥/١٤٣٤هـ

٢٠١٤/٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الشـــواهد والأمثلة في مقررات البلاغة المدرسية "دراسة بلاغية وصفية تحليلية "

الباحث : خالد بن ناصر بن فراج الفريدي

تنطلق هذه الرسالة من الشواهد والأمثلة في الدرس البلاغي المدرسي ،وتحاول الوقوف على مدى ملاءمتها للذوق البلاغي ، من ناحية النوع والكَّم ،ومن ناحيـــة التحليل والدراسة وتهدف للكشف عن المنهج البلاغي الأمثل للتعامل مع الشواهد والأمثلة البلاغية ،من ناحية الاختيار ،ومن ناحية التحليل والعرض .

وتتكون الرسالة من مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة،كان الفصل الأول عن مصادر الشواهد والأمثلة ،ويحوي أربعة مباحث :الأول :تنوع الشاهد والمثال،والثاني: أثر الذوق في الاختيار والثالث: توثيق الشاهد والمثال ونسبتهما ،والرابع :الملاءمة بين الشاهد والمثال وبين تطور الصور والأخيلة ،وكان الفصل الثاني عن تحليل الشاهد والمثال ،ويحوي أربعة مباحث : الأول :الاتجاهات البلاغية في تحليل الشاهد والمثال ،والثاني :السياق النصي وعلاقته ببيان بلاغة الشاهد والمثال ،والثالث:امتزاج الألوان البلاغية وتكاملها في الشاهد والمثال ، والرابع : التكامل بين التحليل البلاغي والتحليل اللغوي للشاهد والمثال.

وسـلكت الرسـالة طريقـا بعيـدا عـن الجوانـب التربويـة ،فخرجـت دراسـةً بلاغيـةً خالصـةً ،وأضـفت علـى الشـواهد والأمثلـة حيويـة ونشـاط تمثلـت في ربطهـا بسـياقها ،وإبـراز الألـوان البلاغيـة الكامنـة فيهـا ،مـع الإشـارة إلى مـا حوتـهُ مـن دقـةٍ في اختيـارِ الكلمةِ الأنسب للتعبير عن المقصود .

وقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى نتائج من أهمها :

* تنوع الشاهد والمثال في كتب البلاغة المدرسية ،و غلبةُ الشواهد الشعرية القديمة ، مع اعتماد كبير على الأمثلة المصنوعة .

* لم تتخلَّص كتب البلاغة المدرسية من حبائل الفلسفة،وشباك الحدود والتقعيدات المنطقية ،عند عرضها للشواهد والأمثلة، مما جنح بها نحو الاختصار الذي ذهب بروح البلاغة،وسِّر جمالها وبيانها .

وقد جاءت أهم توصيات الدراسة في ضوء تلك النتائج على النحو التالي :

١) الاعتماد على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كشواهد رئيسة في الاختيار،دون إغفال الشواهد الشعرية والنثرية المتواكبة مع العصر .

٢) تحليل الشاهد والمثال تحليلا بلاغيا قائما على التذوق والفَهْمِ ،بعيدا عن التقسيمات الجافة التي تضطر الطالب إلى الحفظ وترديد المصطلحات دون وعي وإدراك ؛ للوصولِ إلى ثمرة الفن البلاغي المتمثلةِ في معرفة أسرار إعجاز القرآن الكريم، والوقوفِ أيضا على تذوق الأساليب الأدبية، ومعرفة أسباب روعتها وجمالها .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على رسوله الأمين ،وعلى آله وصحبه أجمعين ،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد

فإن البحث البلاغي ينطلق من أساس ديني يتمثل في تدبر أسرار الكتاب العزيز، ومعرفة أسباب إعجازه، لذا قال أبوهلال العسكري : :" أحق العلوم بالتعلم ، وأولاها بالتحفظ – بعد المعرفة بالله جلَّ ثناؤه – علم البلاغة ، ومعرفة الفصاحة ،الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى" [(١)].

التعريف بالموضوع :

لقد أدرك القائمون على تأليف كتب البلاغة – قديما وحديثا- أساس البحث البلاغي، فبحثوا عن أدوات تُعين على فهم القرآن الكريم ، وتحاول إدراك أسرار إعجازه ،فاستحضروا الشواهد والأمثلة ،الذي لاقت عناية فائقة من قبل العلماء القدامى والمحدثين، إذ هي خلاصة الأساليب الراقية ، إلى جانب كونها الوسيلة لإثبات القواعد وتوضيحها، وهي معيار تقاس به قيمة العالم في فنِّه،قال الجاحظ:"مدار العلم على الشاهد والمثل "[(٢)].

---

(١) الصناعتين ،العسكري ،الحسن بن عبدالله (ت:٤٢٠هـ)،تحقيق وشرح :علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ،١٤١٩هـ ، ٤

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ ،عمرو بن بحر (ت:٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح:عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط ٧ ،١٤١٨هـ ،٢٧١/١

وقاموا بتحليل الشواهد ودراستها باتجاهات متنوعة ،فكان لكل عالم من علماء البلاغة ومؤلفيها منهجه وطريقته في التعامل معها ،فمنهم من نحا بالدرس البلاغي منحى التحليل المتصف بالعمق ،وتتبع الظاهرة البلاغية في الشواهد،والكشف عن أثرها على المعنى، وعلى نفس القارئ، من أمثال الرماني ، والخطابي، والباقلاني، والقاضي عبد الجبار ،وعبد القاهر الجرجاني ،وكذا كل من تبعهم من أمثال الغرناطي قديما،والدكتور محمد محمد أبو موسى ،والدكتور محمد أمين الخضري-حديثا-،ومنهم من اتجه بالشاهد وبالدرس البلاغي وِجهة التقعيد والتقسيم والتبويب والتلخيص، كما فعل السكّاكي في كتابه(مفتاح العلوم) ، والخطيب القزويني ، وشرَّاح التلخيص - قديما- وعلي الجارم ومصطفى أمين وغيرهما الكثير حديثا.

مشكلة البحث وقضيته :

جاءت كتب البلاغة المدرسيةِ على غرار كتب البلاغة ،فاعتمدت على شواهدَ قرآنيةٍ وأحاديثَ نبويةٍ، وأبياتٍ شعريةٍ ،ومقولاتٍ نثريةٍ متنوعة —المرتكز الرئيس في الدرس البلاغي -، إلى جانبِ أمثلةٍ مصنوعة ، مشفوعا ببيان وتحليل ؛للكشف عن سرِّ الإعجاز القرآني .

فهل جاءت شواهد كتب البلاغية المدرسية وأمثلتها كافية ؟وهل كان لها من التنوع ما يثري الدرس البلاغي؟وهل كانت متواكبة مع العصر ؟وعلى وفق أي مدرسة بلاغية كان تحليلها وعرضها ؟

أهمية البحث، وأسباب اختياره :

١- ندرة الدراسات التي اهتمت بالشواهد والأمثلة المبثوثة في كتب البلاغة المدرسية.

٢- أن التأمل في الشواهد، والوقوف على أسرارها البلاغية وتحليليها يساعد بشكل أساسي في تربية الذوق على الأساليب العربية الفصيحة، ويعيد للدرس البلاغي طابعه الذوقي الأدبي وحيويته،خاصة في ظلِّ نفور بعض الطلاب من الكتب المدرسية ،وتدني مستوى فهمهم وتذوقهم للشواهد .

٣- محاولة الكشف عن أسباب تركيز المؤلفين البلاغيين على ثلة من الشواهد والأمثلة البلاغية، التي تتكرر فيما بينهم كثيرا ، والسعي إلى فتح الباب إلى تجديدها، والتنبيه إلى أهمية التنويع والابتكار فيها.

٤- المساعدة على فتح الباب في هذا المجال الحيوي، وتنبيه الدارسين إلى أهمية العكوف على دراسات مماثلة، تتخصص في عمق التكوين العلمي للمقررات الدراسية، وتحليلها من خلال رؤية تخصصية.

٥- السعي إلى بلورة تصور متكامل للتعامل مع الشواهد والأمثلة وتحليلها، يجمع بين الأصالة والجدة.

أهداف البحث:

١- إبراز الطرق والمناهج البلاغية المثلى للتعامل مع الشواهد والأمثلة في المقررات البلاغية، وموازنتها مع الطرق والمناهج الأخرى التي قامت عليها بعض المؤلفات البلاغية المدرسية في اختيار الشواهد والأمثلة ودراستها.

٢- إبراز كل من الجانبين العلمي والذوقي في الشواهد والأمثلة البلاغية التي أُضيفت إلى المؤلفات البلاغية المدرسية.

أهم الدراسات السابقة :

بعد البحث والرجوع إلى قاعدة معلومات الرسائل الجامعية لدى عدد من المراكز العلمية والجهات البحثية في الجامعات وغيرها-ومن ذلك مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - تبيّن لي عدم وجود دراسات مماثلة في الميدان نفسه ؛ مما يشير إلى ندرة الدراسات التي اهتمت بالشواهد والأمثلة في مقررات البلاغة المدرسية، من حيث تنوع مصادرها، وطريقة عرضها وتحليلها ،وتحديد المنهج الأمثل في ذلك،علما أن هناك دراسات قد تناولت الشواهد القرآنية والنبوية والشعرية في مجالات متعددة ،ولم يتطرق أي منها لمقررات البلاغة المدرسية؛ على أنها الأساس الذي لا يمكن تجاهله.

ومن الدارسات المهتمة بالشواهد بشكل عام:

١/ دراسة محمد الأمين الدود: "الشواهد القرآنية في الدراسات البلاغية إلى القرن الرابع الهجري"،وهي دراسة تتناول الشواهد القرآنية في علوم البلاغة العربية، من

خلال المصادر البلاغية إلى القرن الرابع الهجري، منتهيا عند الباقلاني ، ويقوم الباحث باستقراء هذه الشواهد وعرض آراء العلماء الذين حللوها ، مع موازنة بين هذه الآراء وترجيح ما يراه صوابا، إضافة إلى تصنيف هذه الشواهد على المباحث البلاغية التي استقرت عليها علوم البلاغة عند المتأخرين، كما يعزو الآيات القرآنية إلى سورها.

٢/دراسة بيومي حامد بيومي: "الشواهد البلاغية في كتاب أسرار البلاغة "، وكما هو واضح من عنوانها ومحتواها فقد اختصت بكتاب الإمام عبد القاهر الجرجاني (أسرار البلاغة).

٣/دراسة عايد سليم الحربي :"الشواهد الشعرية في كتاب أسرار البلاغة"، وهي دراسة مقاربة للدراسة السابقة من حيث تناولها للشواهد في كتاب عبد القاهر، ولكنها اختصت بالشعرية منها.

٤/ دراسة نجاح أحمد عبد الكريم الظاهر :"الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز"، وهي دراسة تتناول الشواهد الشعرية التي وردت في كتاب عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز"، واهتمت الباحثة بتوثيق هذه الشواهد الشعرية ، وبالحكم على جودتها أو رداءتها، وكذلك تحليل ما لم يحلله الجرجاني منها، والنظر فيما حلله ودرسه، إضافة إلى بحثها عن مكان الذوق في الحكم على النصوص، لاعتماد الجرجاني عليه كثيرا، كما أنها تذكر مناسبة القصيدة التي منها الشاهد، وتكمل الأبيات المفردة والأشطر الناقصة.

٥/مدونة الشواهد في التراث البلاغي العربي من الجاحظ إلى الجرجاني (أسسها – مقاييسها – مناهجها – وظائفها) د.مراد عياد .

٦/ الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته وأثره ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، د.عبدالرحمن بن معاضة الشهري .

٧/الشواهد والأمثلة النحـــــوية ،دراسة تحليلية تقويمـــية ، د.كريم الربيـــــــعي.

٨/ الشـاهد في النقـد العـربي القـديم إلى نهايـة القـرن السـابع الهجـري "دراسـة وصـفية" علاء مهدي عبدالجواد النفاخ

٩/ مـــنهج التعامـــل مـــع الشـــاهد البلاغـــي بـــين عبـــدالقاهر وكـــل مـــن الســـكاكي والخطيب القزويني ،د.عويض العطوي

منهج البحث :

أمـا مـنهج الدراسـة فهـو مـنهج وصـفي تحليلـي ،يصـف مصـادر الشـواهد والأمثلـة لمقـررات البلاغـة المدرسـية وطرائـق تحليلهـا،ثم يحلـل هـذه المصـادر وتلـك الطـرق ليقـف علـى ضـوابطها ومناهجهـا، وعلـى إبـراز المعـنى والصـورة والجمـال، ومقـدار تأثرهـا بهـا ذوقيـا وجماليا.

وسـيكون ذلـك بعـد الجمـع والحصـر والتصـنيف للشـواهد، مـن حيـث مصـادرها ونوعهـا وكمياتهـا ، وهـي: الآيـات القرآنيـة والأحاديـث النبويـة ، والأبيـات الشـعرية ، والمقولات النثرية ،والأمثلة المصنوعة .

ميدان البحث:

الكتـب الدراسـية للبلاغـة العربيـة في التعلـيم الثـانوي بالمملكـة العربيـة السـعودية ، وتشـمل (البلاغـة والنقـد للصـف الثـاني الثـانوي طبعـة ١٤٣١- ١٤٣٢هـ، وللصـف الثالـث ثـانوي طبعـة ١٤٣٢- ١٤٣٣هـ ،التابعـة لـوزارة التربيـة والتعلـيم) و(البلاغـة

"علم البيان " للصف الأول الثانوي طبعة ١٤٢٥ هـ،والبلاغة "علم المعاني" للصف الثاني ثانوي طبعة ١٤٢٧هـ،والبلاغة والنقد للصف الثالث الثانوي طبعة ١٤٢٨،التابعة للمعاهد العلمية)،إضافة إلى كتب البلاغة بقطاع المعاهد الأزهرية بجمهورية مصر العربية؛ انطلاقا من كونه مؤسسة تعليمية عريقة،وتشمل (أسرار البيان للصف الأول الثانوي طبعة ١٤٣٢-١٤٣٣هـ ،والمنار في علوم البلاغة للصف الثاني الثانوي طبعة ١٤٣٢-١٤٣٣هـ).

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة وتمهيد و فصلين تتلوهما الخاتمة . أما (**المقدمة**) ، فقد تحدثت فيها عن التعريف بالموضوع،و مشكلة البحث وقضيته، أهميته وأسباب اختياره،و أهدافه ،وقد عرضت لأهم الدراسات السابقة لبيان المغايرة ،ثم بينت المنهج الذي ستسير عليه الدراسة،ووضحت ميدان البحث ، وبعد ذلك عرضت الخطة التي جرى البحث عليها .

وفي (**التمهيد**) تحدثت عن مفهوم الشاهد والمثال في الدرس البلاغي ،ثم عن أهمية الشاهد والمثال ومكانتهما في الدرس البلاغي.

أما (**الفصل الأول**) فخصصته للحديث عن مصادر الشواهد والأمثلة، وفيه توطئة وأربعة مباحث :

وفي التوطئة سيكون الحديث عن مفهوم المصادر ،وعن طبيعة الشواهد في المصنفات البلاغية التراثية .

وفي المبحث الأول :كان الحديث عن تنوع الشاهد والمثال،وسيتضمن خمسة مطالب، الأول: الشواهد القرآنية ،والثاني :الشواهد النبوية ،والثالث : الشواهد الشعرية ، والرابع:الشواهد النثرية ،والخامس : الأمثلة المصنوعة .

والمبحث الثاني: خصصته للحديث عن أثر الذوق الأدبي في اختيار الشواهد والأمثلة البلاغية،واحتوى على توطئة ،ومطلبين . الأول : اختيار الشواهد والأمثلة في المصنفات البلاغية التراثية ،الثاني : اختيار الشواهد والأمثلة في مقررات البلاغة المدرسية.

وفي المبحث الثالث: سيخصص الحديث عن توثيق الشاهد والمثال ونسبتهما ،من خلال توطئة، ومطلبين ،الأول: أهمية التوثيق والنسبة للشواهد البلاغية ،الثاني :توثيق الشاهد المدرسي ونسبتهما .

والمبحث الرابع: خصصته للحديث عن الملاءمة بين الشاهد والمثال وبين تطور الصور والأخيلة ،ويحوي توطئة ،ومطلبين .الأول : الملاءمة بين الشواهد ،وبين تطور الصور والأخيلة في المصنفات البلاغية التراثية،الثاني: مدى ملاءمة شواهد وأمثلة مقررات البلاغة المدرسية لتطور الصور والأخيلة في العصر الحاضر.

أما (**الفصل الثاني**) فخصصته للحديث عن تحليل الشاهد والمثال في مقررات البلاغة المدرسية. وسيحوي توطئة وأربعة مباحث :

وفي التوطئة سيكون الحديث عن مفهوم التحليل لغة واصطلاحا،وعن أهمية التحليل البلاغي.

والمبحث الأول: سأتناول فيه الاتجاهات البلاغية في تحليل الشواهد والأمثلة .

وفي المبحث الثاني: سأتطرق فيه إلى السياق النصي ،وعلاقته ببيان بلاغة الشاهد والمثال.

والمبحث الثالث:سيكون الحديث عن امتزاج الألوان البلاغية ،وتكاملها في الشاهد والمثال .

وفي المبحث الرابع: سيخصص الحديث عن التكامل بين التحليل البلاغي والتحليل اللغوي للشاهد والمثال .

وأما (**الخاتمة**) فكانت رصدا لأهم نتائج البحث وتوصياته .

ووضعت بعد ذلك (**فهرسا**) للآيات القرآنية وللأحاديث النبوية،وللأبيات الشعرية،وللمصطلحات البلاغية،وكذلك للمصادر والمراجع،وللموضوعات .

وتجدر الإشارة إلى أن إخراج هذه الدراسة بهذا الشكل ،وفي تلك الصورة لم يخلُ من صعوبات جمةٍ – افتقر التغلب عليها إلى صبرٍ وأناة،وتوفيق من الله أولا وآخرا – كان من أبرزها :

١)جِدة الفكرة التي قامت عليها الدراسة ،حيث لم تتناول شخصية أو قضية بلاغية محددة يمكن تتبُعها في كتب البلاغة ،بل كانت متشعبة في كَلِّ أبواب البلاغة وفصولها ،إضافة إلى كونها تتعامل مع بيئة تعليمية تلبي احتياجات متغيرة ومتجددة .

٢)نُـدرةُ المصـادر والمراجـع والدراسـات الـتي تخـدم البحـث في المكتبـات السـعودية العامـة منهـا والخاصـة ؛ممـا دفـع بي إلى السـفر إلى بعـض الأقطـار العربيـة بحثـا عمّـا يفيـد الفكرة ويخدمُها .

٣)اقـتراب الدراسـة مـن الميـدان التربـوي بمـا يحملـه مـن تطلعـات وفلسـفات مـع عـدم الخوض فيه ،وهنا مكمن الصعوبة ،كالراعي يرعى حول الحِمى يوشك أن يرتع فيه .

وعلـى الـرُغمِ مـن كـون ميـدان هـذه الدراسـة هـو كتـب البلاغـة المدرسـية ،والـتي تتـزاحم فيهـا ويـبرز علـى صـفحاتها الكثـير مـن الجوانـب التربويـة ،إلا أنهـا سـلكت طريقـا نـأت بـه عـن تلـك الجوانـب ،فخرجـت دراسـةً بلاغيـةً خالصـةً ،تبحـث في مـدى ملاءمـة الشـواهد والأمثلـة للـذوق البلاغـي مـن ناحيـة النـوع والكـم ،والتحليـل والعـرض ،إلى جانـب مـا أضـافته هـذه الدراسـةُ علـى بعـض الشـواهد والأمثلـة مـن حيويـة ونشـاط تمثلـت في ربطهـا بسـياقها ،وإبـرازٍ للألـوان البلاغيـة الكامنـة فيهـا ،مـع الإشـارة إلى مـا حوتـهُ مـن دقةٍ في اختيارِ الكلمةِ الأنسب للتعبير عن المقصود .

وختامـا أزجـي الشـكر إلى كليـة اللغـة العربيـة والدراسـات الاجتماعيـة بجامعـة القصـيم، ممثلـة بقسـم اللغـة العربيـة وآدابهـا؛ لِـما أتاحتـه لي مـن فرصـة مواصـلة البحـث العلمي ،وما وفرته من جوٍّ علمي مبارك .

كمـا أسـوق مـن الشـكر أوفـاه وأتـمَّه للـدكتور:محمـد بـن عبـدالرحمن الخـرَّاز المشـرف علـى هـذا البحـث ؛ لمـا لقيتـه منـه مـن عـون وتأييـد ، مـع سـعة بـال وحـرص شـديد ،حيـث تـابع مسـيرة البحـث مـن بدايتـه ، موجهـا ومقومـا ومعلمـا ، فجـزاه الله عـني ، وعـن طلاب العلم خير الجزاء .

كما أتوجه بكل التقدير والاحترام والعرفان بالجميل لأستاذيَّ الكريمين :أ.د. يوسف بن عبدالله الأنصاري ،و أ.د. محمد السيّد دسوقي ،اللذين تفضلا بقبول تقويم هذا العمل صوبَ الطريق الأمثل ، مع كثرة أعبائهما ،فلهما مني وافر الدعاء .

والشكر موصول إلى كل من أولاني رعايته ،وسعى في تقديم العون لي من قريب أوبعيد .

وأزجي كل معاني الشكر والاعتراف بالجميل إلى والدي-حفظه الله- الذي ما فتئ يبث فيّ وفي إخوتي روح الجدِّ والمثابرة ،وطلب العلم ،وليست هذه أولى فضائله علينا، فأسأل الله تعالى ألّا يحرمه الأجر والثواب جزاء ما قدَّم .

أما والدتيَّ- حفظهما الله- اللتان حفتاني بدعائهما الصادق ،وإشفاقهما الدائم ،فأدعو الله أن يجزيهما عني خير الجزاء ،وأن يعينني على برِّهما .

كما أتقدم بالشكر والعرفان لزوجي وأولادي الذين أعانوني على إتمام هذه الدراسة ،فكم اقتطعتُ منهم أوقاتا كان لهم فيها حقُّ الإنس معي.

وأُتوِّجُ ذلك بشكر الله عزّ وجلّ - أولا وآخرا - إذ وفقني لإتمام هذا البحث،ويسَّر لي أسبابه،وأسأله -سبحانه- أن يُتمَّ عونه وتوفيقه ،لأنتفعَ بما علمت،ويكتب لي أجر ما عملت،وأن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم،وصلى الله على سيدنا محمد ،وعلى آله وصحبه أجمعين .

خالد بن ناصر بن فراج الفريدي

١٤٣٤/١٢/١هـ

التمهيد

أولا : مفهوم الشاهد والمثال في الدرس البلاغي.

ثانيا: أهمية الشاهد والمثال ومكانتهما في التراث البلاغي .

التمهيد

أولا : مفهوم الشاهد والمثال في الدرس البلاغي :

أ)الشاهد في اللغة : يطلق الشاهد في اللغة على اللسان من قولهم: " شاهد حسن أي: لسان مبين وتعبير حسن" [1] ،ويطلق أيضاً على :" الخبر القاطع عندما يؤدي الإنسان ما عنده من الشهادة... ،والشهادة : خبر قاطع :فتقول منه : شهد الرجل على كذا...والمشاهدة المعاينة وشهده شهوداً أي حضره فهو شاهد ، وقوم شهود أي: حضور "[2] ،ويقال: شَهِدَ بكذا أي: أخبر به ، وتأتي الشهادة أيضاً بمعنى: البيان والتوضيح "، قال أبو عبيدة: معنى شَهِدَ الله في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[3] ، أي :قضى الله أنه لا إله إلا هو وحقيقته عَلِمَ الله وبيّن الله"[4] ،وقال تعالى:﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا ﴾ [5]، أي : مُبينا ،والشاهد هو "من يؤدي الشهادة والشاهد الدليل"[6] ، والشاهد : "يدل على معنى حضور وعِلْمٍ وإعلام "[7] ،والشاهد :"هو الحاضر الماثل مطلقا أو خصوصاً أثناء وقوع الحادث أو نحوه ، فهو يقف على دقائقه كلها أو طائفة منها ." [8]

---

(١) لسان العرب ،ابن منظور ،دار صادر ببيروت، ط ٦ ، مادة (شهد) ٨ / ١٥١

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،الجوهري ،تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ،بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ،م مادة (شهد) ٢/ ٤٩٤

(٣) سورة آل عمران :١٨

(٤) تاج العروس ،الزبيدي ،تحقيق : مجموعة محققين ، دار الهداية ، بيروت ، ٨/ ٢٥٩

(٥) سورة الأحزاب :٤٥

(٦) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، أحمد الزيات ،ومجموعة مؤلفين ،دار الدعوة ،ط ٣ ، ١٩٩٨م ٤٩٧/١

(٧) معجم مقاييس اللغة ،ابن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون دار الفكر المعاصر ،بيروت، ،١٣٩٩هـ ٣ / ٢٢١

(٨) الشاهد اللغوي، يحي جابر، مجلة النجاح للأبحاث المجلد الثاني ،العدد :٦ ، ١٩٩٢م ،٢٦٥

وينظم المعاني السابقة ويجمعها شيء واحد وهو : **أن الشاهد يدلّ على حقيقة الشيء و بيانه والتأكد من وجوده .**

وقبل الحديث عن مفهوم الشاهد في الاصطلاح ، يجدر بنا الوقوف على معنى الشاهد في التراث البلاغي والنقدي ؛ لمعرفة ما طرأ عليه من تغيير في وقتنا الحاضر ، وأيضا الوقوف على الفرق بين الشاهد النحوي والبلاغي ؛لئلا يخلط بينهما في إصدار الأحكام .

الشاهد في التراث البلاغي والنقدي :

عندما أتحدث عن مصطلح الشاهد في تراثنا البلاغي والنقدي نجد أن علماءنا الأوائل قد أشاروا إليه في مصنفاتهم ، فالجاحظ قد أشار إليه في أكثر من موضع في مؤلفاته المختلفة، ومنها قوله : "وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهداً من الشعر على أن الحجّاج وأباه كانا معلمَيْن بالطائف"[1] ،وقوله أيضاً: "وفي كل ذلك قد روينا الشاهد الصادق والمثل السائر"[2] ،وقال: "ولم أرَ غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل" [3].

ويتضح من خلال هذه النقولات أن الجاحظ كان يريد بالشاهد الشعر، ويدعم ذلك كلمة (أنشدوا) و (روينا)، وعلماء العربية قديما صرفوا مصطلح الشاهد للشعر دون النثر، من قبيل تسمية الجزء باسم الكل، وأصبح ذلك أمرا مفروغا منه ، "فكلمة شاهد اتخذت معنى عرفيا يقصد به الشعر ،فلا يتبادر إلى الذهن النص القرآني أو الحديث أو بقية المصادر "[4] ،كشواهد القاموس للفيروزبادي ،وشرح شواهد المغنى للسيوطي ،وخزانة الأدب للبغدادي الذي شرح بها شواهد الكافية

---

(١) البيان والتبيين ،الجاحظ ١ / ٢٥٢

(٢) المصدر السابق ٢ / ٥

(٣) المصدر السابق ٤ / ٢٤

(٤) الشواهد والاستشهاد في النحو ،عبدالجبار علوان النايلة ، مطبعة الزّهراء، بغداد ، ١٩٧٦م ، ٨٨

الشعرية للرضي الاستراباذي ومعاهد التنصيص على شواهد التخليص لعبد الرحيم العباسي .

وأُطلق مصطلح الشاهد في تراثنا البلاغي والنقدي أيضا على النثر، فهذا الزجّاج يقول:" فأما الشواذ فإنما نقبل ما نقلته الرواة وسُمع منها في شعر أو شاهد كلام "[1] ،حيث استخدم مصطلح الشاهد للكلام الذي هو النثر، وجعله في مقابل الشعر .

كما أُطلق مصطلح الشاهد وأريد به ما استشهد به من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والنثر بأنواعه ، فالتهانوي جعل الشاهد "من التنزيل أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم"[2] ، وهذا المفهوم العام للمصطلح ما نقصده في هذه الدراسة .

ويلحظ مما سبق أن مصطلح الشاهد في التراث لم يتبلور في أذهان العلماء و" لم يأخذ حيّزا محدداً ولم يكتسب تعريفاً ثابتاً ؛لأن العلماء والنقاد في تلك الحقبة لم يلتفتوا إلى دراسة الظواهر النقدية؛ لانشغالهم بجمع الشعر وتصنيفه بمؤلفاته الخاصة ... بيد أن الشواهد الأدبية لازمت حركة النقد الأدبي منذ بدايتها وإن لم يطلق عليها مصطلح الشاهد ، ولكنها شواهد حقاً ، فعدم شيوع المصطلح لا ينفي وجوده في واقع النقد العربي القديم . " [3]

وفي وقتنا الحاضر ترسّخ عند العلماء إطلاق مصطلح الشاهد على الشعر "ويكفي للتأكد من هذا التوجه مطالعة فهارس كتب التراث المحققة في أيامنا، حيث

---

(١) الإيضاح في علل النحو ،الزجاج ، تحقيق : مازن مبارك،دار النفائس ،بيروت ،ط ٧،٢٠٠٧م، ٦٣

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،التهانوي ،تحقيق : د. رفيق العجم ،نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي ،مكتبة لبنان ناشرون ،بيروت ط١، ١٩٩٦م ، ١٠٠٢/١

(٣) الشاهد في النقد العربي القديم إلى نهاية القرن السابع الهجري "دراسة وصفية " ، رسالة ماجستير مقدمة من الباحث : علاء مهدي عبدالجواد النفاخ ، إلى قسم اللغة العربية بجامعة الكوفة بالعراق ،١٤٢٩هـ ،١٧

يشار إلى الشواهد ، يعنى بها الشواهد الشعرية دون ماعداها، وتصفُّحُ أسماء الكتب أو الدواوين التي تحمل عناوينُها اسمَ الشاهد والتي ليس فيها إلا أبيات الشعر."[١]

وعندما يبحث عن مصطلح الشاهد في مقررات البلاغة المدرسية نجد أن كتب الوزارة استحضرته وقصدت به القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والنثر بأنواعه ،فأشاروا إليه عندما حرصوا " على جمال الشاهد البلاغي... وتنويع الشواهد البلاغية..."[٢] .

أما كتب المعاهد العلمية فلم تحفل بهذا المصطلح ،ولم تتطرق إليه بل استخدمت مصطلح الأمثلة والنماذج والنصوص الأدبية ،فحرصوا على "اقتباس الأمثلة من القرآن الكريم ...مع مراعاة أن تكون النماذج والأمثلة التي تساق في درس البلاغة ممثلة لعصور مختلفة ..."[٣]

الفرق بين الشاهد النحوي والشاهد البلاغي :

سأتناول هذه القضية من خلال وظيفة الشاهد ،ومجاله،و وثباته من عدمه :

وظيفة الشاهد النحوي :يورد الشاهد النحوي للاستدلال به على صحة قاعدة نحوية اطرادا أو شذوذاً ، فالغرض منه لفظي " لإثبات صحة استعمال لفظة أو تركيب أو ما يتبع ذلك من قواعد في علم اللغة والنحو والصرف "[٤] ،فهو:" الجزئي

---

(١) المثل والشاهد في كتب النحويين والمعجميين العرب ،وقائع ندوة جامعة ليون ٢ ،سبتمبر ٢٠٠٥ ،أخرجه ونسقه : أ.د.حسن حمزة ، وأ.د.بسام بركة ،دار ومكتبة الهلال ببيروت،ط١ ، ٢٠١٠م ، ٢٢

(٢) البلاغة والنقد ،الصف الثاني الثانوي ،وزارة التربية والتعليم،المملكة العربية السعودية،الفصل الدراسي الأول، ط ١٤٣١- ١٤٣٢هـ ، المقدمة

(٣) البلاغة "علم المعاني"، الصف الثاني ثانوي ،المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،المملكة العربية السعودية،الفصل الدراسي الأول ،ط ١٤٢٧هـ،٧

(٤) خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب ،البغدادي ،٥ تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط ٤، ١٤١٨ هـ ، ٥

الـذي يذكـــــــر لإثبـات القاعـدة ،كآيـة مـن التنزيـل ،أو قـول مـن أقـوال العـرب الموثـوق بعربيتهم. ."[١]

مجـال الشـاهد النحـوي : الشـاهد النحـوي مـرتبط بالقضـايا النحويـة والصـرفية والدلالـة المعجميـة للفظـة ، ولـذلك لا يستشـهد لـه إلا مـن كـلام القـدماء ، وقـد نقـل ابـن رشـيق قـول ابـن جـني مقـررا لـه : "يستشـهد بالقـدماء في الألفـاظ"[٢] ، وقـال الأندلســي : "علــوم الأدب ... اللغــة والصــرف والنحــو...لا يستشــهد عليهــا إلا بكـلام العـرب ..." [٣] ، فـاللفظ ومـا يتعلـق بـه يكـــون الاستشـهاد لـه مقصـورا علـى عصـر الاحتجـاج اللغـوي ،فهـو مضـبوط زمنيـاً ،وأمِـن علمـاء اللغـة لغـة العـرب الواقعـة في هـذه الفـترة؛ لأنهـم "أمِنـــوا ببعـده عـن الفسـاد والخطـأ الناتـــج عـن اختـــلاط الحضـارات" [٤] ،كمـا أنهـم ضـبطوه مكانيـا فلـم يأخـذوا اللغـة إلا " مـن القبائـل السـاكنة في بـوادي وسـط الجزيـرة العربيـة،فلم يأخـذوا مـن سـكان الحضـر،ولا مـن سـكان أطـراف الجزيــرة العربيــة بحجــة أنهــم اختلطــوا بغــيرهم مــن الأمــم الأخــرى فاختلطــت لغــتهم بغيرهـم، ومن ثم ضعفت لغتهم وفسدت ألسنتهم ."[٥]

ثبـات الشـاهد النحـوي :شـواهد النحـو والصـرف واللغـة هـي مـن أكثـر الشـواهد العربيـة ثباتـا " لارتباطهـا بالقواعـد الـتي بُنيـت عليهـا"[٦] ،فالنمطيـة والثبـات مـن سمـات شواهدها.

---

(١) إتحـاف الأمجـاد فيمـا يصـح بـه الاستشـهاد ،الألوسـي،مجلة الـوعي الإسـلامي، الكويـت ،العـدد:٥٥٥ ، ٢٠١١ م ٥٤

(٢) العمـدة في محاسـن الشـعر وآدابـه، القـيرواني ،تحقيـق : محمـد محيـي الـدين عبـد الحميـد، دار الجيـل ،ط٥ ١٤٠١ هـ ٢٣٦/٢ ، نقلا عن ابن جني في الخصائص.

(٣) خزانة الأدب ،البغدادي ، ٥ ، نقلا عن الأندلسي في شرح بديعية ابن جابر

(٤) الشاهد في النقد العربي القديم ،علاء مهدي النفاخ ،١٥

(٥) المرجع السابق ١٦

(٦) مـنهج التعامـل مـع الشـاهد البلاغـي بـين عبـدالقاهر وكـل مـن السـكاكي والخطيـب القـزويني ، د.عـويض العطـوي ، ٤٩٧ (مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ،ج ١٨ ،العدد :٣٠ ، ١٤٢٥هـ)

فالشاهد في النحو هو :"ما يراد به إثبات صحة قاعدة ،أواستعمال كلمة ،أو تركيب بدليل نقلي صحَّ سنده إلى عربي فصيحٍ سليم السليقة ." [١]

وظيفة الشاهد البلاغي : الشواهد البلاغية تورد لـ"قصد الكشف عن جوانبها الفنية وأبعادها الدلالية"[٢] ،ولبيان المسائل البلاغية وتوضيحها .

مجال الشاهد البلاغي : الشاهد البلاغي مرتبط بالجوانب المعنوية والجمالية في القضايا الأدبية والنقدية والبلاغية ولذلك فـ" المولدون يستشهد بهم في المعاني"[٣] ، وقال الأندلسي :"علوم الأدب ...المعاني والبيان والبديع ...يستشهد فيها بكلام غيرهم (أي العرب) من المولدين؛ لأنها راجعة إلى المعاني ،ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم ،إذ هو أمر راجع إلى العقل..." [٤]،وفي هذا يتساوى الناس، فالشواهد البلاغية "لا تقوم في جوهرها على الألفاظ لمعانيها، ولا لآثار بعضها في بعض بقدر ما تقوم على ما يطرأ في ذهن المتلقي عند تلقيها من استجابة تمثل استحسان أو استهجان."[٥] ، فيستشهد بشعر المولدين وحتى المتأخرين كالمتنبي وأبي تمام إضافة إلى الجاهلين والإسلاميين ، فأصبح الشاهد البلاغي يسع القديم والحديث ،وهذا التمرد على الزمان والمكان ميّز الشاهد البلاغي عن الشاهد النحوي ،وأتاح له "التنوع والتمايز." [٦]

---

(١) الأصول في النحو لأبي بكر البغدادي تحقيق د.عبدالحسين الفتلي،مؤسسة الرسالة، بيروت،ط١ ،١٤٠٥هـ، ج ١، ٦

(٢) الشاهد البلاغي وإشكالية النموذج قراءة في أسرار البلاغة للجرجاني ، محمد أمين المؤدب ٣٩١(مجلة جذور، الصادرة عن النادي الأدبي الثقافي بجدة ،العدد : ٥، ١٤٢١هـ)

(٣) خزانة الأدب للبغدادي ،٥ ، نقلا عن الأندلسي في شرح بديعية ابن جابر .

(٤) العمدة ،ابن رشيق القيرواني ٢٣٦/٢ نقلا عن ابن جني في الخصائص .

(٥) الرواية والاستشهاد باللغة: دراسة لقضايا الرواية والاستشهاد في ضوء علم اللغة الحديث،د،محمد عيد ،عالم الكتب ،القاهرة ،١٩٨٨ م ، ٢٥

(٦) الشاهد البلاغي وإشكالية النموذج ،محمد أمين المؤدب ٣٩٣

ثبات الشاهد البلاغي : لابد أن تكون الشواهد البلاغية متجددة ومتغيرة ، لذلك لم تكن نظرة البلاغيين إليها "موحدة ولا متشابهة دائما ،ومن هنا لم تكن محدودة ولا مكرورة.."[1] ،فالهدف منها تربية الذوق ،فـ" لشواهد البلاغة أهمية كبرى في تذوق أسرارها ،واستكشاف دررها ،وتفيؤ ظلال البيان في أعلى مراتبها ..." [2]

وبناء على ما تقدم **فالشاهد البلاغي في الاصطلاح** : نماذج اقتطفها البلاغيون من القرآن الكريم والحديث الشريف، ومن محصول الإنتاج الأدبي منظومه، ومنثوره، سابِقه ولاحقه، وضمَّنوها مصنفاتهم ؛بيانا للمسائل البلاغية ، وكشفا عن جوانبها الفنية ، وتمثيلا لها .

ب)المِثالُ في اللغة: "المقدار وهو من الشِّبه...ومثَّلتُ له كذا تمثيلاً إذا صوّرت له مثالا بكتابة وغيرها ...وامتثله هو :تصّوره ... ومثَّل الشيء بالشيء :سوّاه وشبّهه به وجعله مثله وعلى مثاله "[3] ،والمِثالُ :"القالب والنموذج الذي يقدّر على مِثْلِه، الشيء التي تُمثِّل صفاتِه والجمع أمثِلَةٌ ومُثُلٌ"[4] ،ومما سبق يتضح لنا المعنى العام للمِثال وهو: المماثلة وتشبيه الشيء بالشيء ، وجعله على مثال آخر يماثله ،فالمِثال البلاغي مثّلهُ البلاغيون وصوروه للمتعلّم على مِثال كلام العرب ؛ ليقرِّبوا له القاعدة البلاغية.

المِثال البلاغي في الاصطلاح : لم أجد في المؤلفات البلاغية والنقدية مفهوماً واضحاً وصريحاً للمثال البلاغي ،وإنما اجتهدت لاستخراج مفهوم يوضح ما هو مبثوث في المؤلفات البلاغية والنقدية، مع اعتماد على ما قيل في مفهوم المثال النحوي ،ومحاولة عمل مقاربة بينهما ،وخرجت بأن **المثال البلاغي** هو : قول

---

(١) المرجع السابق ٣٩٢

(٢) الشواهد الشعرية في كتاب أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني "توثيق وتحليل بلاغي ونقدي "،رسالة ماجستير مقدمة من الباحث : عايد بن سليم الحربي، إلى كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤١٥هـ ،المقدمة .

(٣) لسان العرب ،ابن منظور مادة(مثل) ١٤/١٧-١٩

(٤) المعجم الوسيط ، من إصدار مجمع اللغة العربية،مجموعة من المؤلفين، بالقاهرة، ط٣ ، ١٩٩٨م

مصنوع متخيل يخترعه البلاغي، ليقِّرب القاعدة البلاغية ويوضحها لذهن المتلقي ، فالمثال : "يذكر لإيضاح القاعدة وإيصالها إلى فهم المستفيد ."[١] ، وقد سماه الألولسي : "المثال الجَعْلي" [٢] ،أي : المصنوع ،إضافة إلى أن المثال البلاغي المصنوع حديثاً "قد خضع للفلسفة التربوية لتعزيز فكرة معنية أخلاقية كانت أم وطنية في نفس المتعلم "[٣] لا يمكن أن تكون في الشعر أو في النثر بأنواعه .

الفرق بين الشاهد البلاغي والمثال البلاغي المصنوع :

الشواهد البلاغية نصوص منقولة من القرآن الكريم والسنة النبوية، ومأخوذة من نصوص شعرية ونثرية بأنواعها ، "وهي نتاج فكري متأنٍ ومتمعن ،تؤخذ مباشرة من مصادر أصلية ومدونات مضبوطة "[٤] ،ويكون الشاهد في " سياق أدبي محمول بشحنة تعبيرية ذاتية نثراً أو شعراً ."[٥]

وأما المثال البلاغي فهو مخترع متخيل وليد اللحظة، وليس مستخرجاً من المتون ولا منسوباً لشاعر أو لكاتب معين فهو" نص سمته الذاتية والظرفية... قائم على الاختلاق لا الإبداع."[٦] ،فهو معياري محصور في جملة محددة ، ويتفق الشاهد والمثال البلاغي في الوظيفية الرئيسة وهي توضيح القاعدة والمسألة البلاغية ، وإيصالها إلى فهم المستفيد ،وممكن أن يجمعهما مصطلح (التمثيل) ويكون الفرق في نوع النَّص ومنتجه.

---

(١) إتحاف الأمجاد فيما يصح به الاستشهاد ،للألوسي ، ٥٤

(٢) المرجع السابق ٥٤ ، وجعل الشيء يجعله جعلا أي :صنعه ،هذا في حق المخلوق ،أما جعل في حق الخالق – سبحانه وتعالى – فهو بمعنى الخلق والإيجاد كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلنَا مِنَ ٱلمَاۤءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ [سورة الأنبياء :٣٠]

(٣)الشواهد والأمثلة النحوية ،دراسة تحليلية تقويمية ، د.كريم الربيعي ، دار الفرهيدي ، بغداد،٢٠١٠م ،٤٣

(٤) المثال والشاهد في كتب النحويين والمعجميين العرب ،د.حسن حمزة د.بسام بركة ١١٢

(٥) المرجع السابق ١٢٩

(٦) المرجع السابق ١١٢

وأخيرا ينبغي معرفة أن الشواهد البلاغية عموما "لا تُعدُّ شواهدَ بالمعنى الاصطلاحي الدقيق "[1] ؛ لأن الهدف من إيراد الشاهد إثبات القاعدة، والاستدلال على صحتها لا توضيحها وبيانها كما هو الحال في الأمثلة البلاغية .

(١) الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته وأثره ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، د.عبدالرحمن بن معاضة الشهري، مكتبة دار ،الرياض، ١٤٣١هـ ،٨١

ثانيا :أهمية الشاهد والمثال ومكانتهما في التراث البلاغي :

تكـوّن الشـواهد إرثـا حضـاريا لأمتنـا العربيـة ،لارتباطهـا بثقافتنـا "ارتباطـا وثيقـا منـذ وقـت مبكـر مـن تاريخـــــــــها ،لمـا تختـــزنه مـن مـوروث ثقـافي وحضـاري في حيـاة العربي "[١]،فالشواهد " تؤلف جزءا مهما من تراثنا الأدبي والحضاري ."[٢]

والشـاهد في العلـوم العربيـة والإسـلامية لا يُشـكُّ في منزلته ،فهـو" العصـب لهـا في مرحلـة التنظير ، وهـو المـادة في مرحلـة التطبيـق" [٣] ،فالتعريفـات والمصـطلحات البلاغيـة مهمـا كانـت مسـتوفية للشـروط ومحكمـة في صـياغاتها فإنهـا غـير كافيـة لإيضـاح المسـائل البلاغيـة والمفـاهيم النقديـة في أذهـان المتلقـين، وتظـلُّ نظريـات مجـردة مـا لم تشـفع بالشـواهد والأمثلـة الـتي تنقـل المتلقي من المفهوم المجرد إلى المثال المحسوس، وهذه هي "فائدة التمثيل في جميع العلوم "[٤] ،وقد قيـل :الحكـم علـى الشـيء فـرع عـن تصـوره ، فـلا يمكـن أن تـدرس المسـائل البلاغيـة بعيـدا عـن الشـواهد والأمثلة؛فإيراد الشـواهد والأمثلة ودراسـتها أمـر ضـروري " في ترسـيخ الأصـول والقواعـد وتوضيحها ولاحتجاج لصحة المفردات والتركيب ."[٥]

كمـا أنهـا تقـف بالـدارس علـى كـل جوانـب القضـية البلاغيـة ، ممـا يسـاعد في ثباتهـا في ذهنه ،وتزيل الشكّ ، وتحقق الإقناع وتقوم بها الحجة والبرهان.

ويـبرز الجـاحظ وظيفـة الشـواهد عنـد المتكلمـين فيقـول: " مـتى مـا أخـذت بيـد الشـعوبي فأدخلتـه بـلاد الأعـراب الخُلّـص ،ومعـدن الفصـاحة التامـة، ووقفتـه علـى شـاعر

---

(١) الشاهد البلاغي وإشكالية النموذج قراءة في أسرار البلاغة للجرجاني ، محمد أمين الؤدب ٣٨٥

(٢) المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية ، د.إميل بديع يعقوب ،دار الكتب العلمية ،ط١ ،١٩٩٢م ، ٥

(٣) منهج التعامل مع الشاهد البلاغي بين عبدالقاهر وكل من السكاكي والخطيب القزويني ، د.عويض العطوي /٤٩٧

(٤) المثال والشاهد في كتب النحويين والمعجميين العرب ، د.حسن حمزة د.بسام بركة ١١٢

(٥) الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز للشيخ عبدالقاهر الجرجاني "توثيق وتحليل ونقد"رسالة دكتوراة مقدمة من الباحثة : نجاح أحمد عبدالكريم الظاهر، إلى كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ ،٣٢

مفلق،أو خطيب مصقع عَلِمَ أن الذي قلتهُ هو الحق وأبصرَ الشاهد عينا "[1] ، فالشاهد دليل وحجة عند أصحاب الكلام عند حديثهم ودفاعهم عن العربية .

وابن سنان الخفاجي يرى أن الشواهد و الأمثلة للإيضاح " ويُتدرب بتأملها على فهم مرادنا ،وتوضح وتكشف وتخرج من اللبس إلى البيان ومن جانب الإبهام إلى الإفصاح"[2] ،ويقول عن الأمثلة في معرض حديثه عن الاستعارة :" وإذا ذُكِرت بان القريب في الاستعارة من البعيد ، وعُرِف المرضيُّ منها والمكروه."[3]

وقد فضّل رشيد رضا كتاب (أسرار البلاغة) للشيخ عبدالقاهر الجرجاني على سائر كتب البلاغة العربية في وقته لجمعه بين الشواهد والقواعد ، وقال : "التعليم النافع إنما يكون بقرن الصور المفصلة(الأمثلة) بالصور المجملة(القواعد) إذ بالتفصيل تعرف المسائل ،وبالإجمال تحفظ بالعقل"[4] ، فالقواعد البلاغية إذا لم تُدعَّم بالشواهد والأمثلة فلن تعرف ،بل سوف تحفظ بالعقل فقط، فالشيخ عبد القاهر الجرجاني جمع في كتابه بين العلم والعمل فثبت العلم ، فالشواهد والأمثلة صورة تفصيلية للقاعدة الكلية.

وقد أشار د.مراد بن عياد إلى أهمية استحضار الشواهد في النصوص البلاغية،وذكر بأنها :" بمنزلة المواد الأولية في البناء ،بل هي الهيكل الذي يشدّه ويجعله متماسك النسيج ،ولولا تلك المواد لانهار البناء من أساسه ...والظاهرة البلاغية تتغذى من الأنموذج الأدبي ..."[5] ، فلا يمكن وجود قاعدة بلاغية بدون شاهد .

---

(١) البيان والتبيين ،الجاحظ ٣ / ٢٨

(٢) سرُّ الفصاحة ،ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، ط ١ ، ١٤٠٢هـ ، ٢٣٢

(٣) المصدر السابق ١٤

(٤) أسرار البلاغة ،عبد القاهر الجرجاني، تحقيق :محمود محمد شاكر(أبوفهر)، دار المدني ،جدة ،ط١ ، ١٤١٢هـ مقدمة المحقق ، ١٤

(٥) مدونة الشواهد في التراث البلاغي العربي من الجاحظ إلى الجرجاني (أسسها – مقاييسها – مناهجها – وظائفها) د.مراد عياد ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس ، ط١ ، ٢٠٠٦ م ، ٣٥٠

وهناك وظيفة أخرى للشواهد والأمثلة لا تقل أهمية عن الوظيفة الأولى ،وهي الممارسة والدربة على الفصاحة والبلاغة والأسلوب الأدبي الرفيع . وقد نوى ابن سنان الخفاجي أن يذيل كتابه (سرَّ الفصاحة) بشواهد وأمثلة من الشعر والنثر تساعد المتلقين على الدربة والكشف عن أسرار الفصاحة والبلاغة، وهذا دليل واضح منه على إدراكه لقيمة الشواهد الفنية .

وأكّدَ ابن رشيق القيرواني هذه الوظيفة بقوله :" كلما أكثرت من الشواهد فإنما أريد بذلك تأنيس المتعلم وتجسيره على الأشياء الرائعة ."[1] ،كما قرّر أبو هلال العسكري هذه الوظيفة حينما قال : " ثمَّ إِنِّي مَا رَأَيْت حَاجَة الشريف إِلَى شَيْء من أدب اللِّسَان بعد سَلَامَته من اللّحن كحاجته إِلَى الشَّاهِد والمثل ... فَإِن ذَلِك يزِيد الْمنطق تفخيما ويكسبه قبولاً وَيجْعَل لَهُ قدرا فِي النُّفُوس وحلاوةً فِي الصُّدُور. "[2]

وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته ما يدل على أهمية هذه الوظيفة فقال :" المَلَكة اللسانية لا تنشأ بمدارسة علوم العربية ،وإنما تنشأ فقط بمدارسة البيان العالي وتفقده ومزاولته ومراجعته."[3]

وكلما كانت الشواهد منتقاة من نماذج أدبية رفيعة المستوى ، فإنها تربي المَلَكة الأدبية ،وقد لا تحتاج بعد ذلك للقواعد البلاغية كما هو الحال عند الغرب ، فالبلاغة بوصفها علما مسقطة من مناهجهم التعليمية "واستعاضوا عنها بتقديم نصوص أدبية

---

(١) العمدة ،ابن رشيق القيرواني ٢/ ٦٠

(٢) جمهرة الأمثال ،العسكري ،تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ،وعبدالمجيد قطماش،دار الجيل ،بيروت ،ط٣ ١٣٨٨هـ ، ٤/١

(٣) مقدمة ابن خلدون ،تحقيق د.علي عبدالواحد وافي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،٢٠٠٦م ، ٣٤

كبيرة تُربِي المَلَكة في مستوعِبيها دون أن يكونوا محتاجين إلى اجترار حفظٍ لقواعد محنّطة خارج النصوص الأدبية الرفيعة." [1]

وقد ربط الجاحظ بين الشاهد والمثل ،وبين البيان ربطا محكما فقال: "مدار العلم على الشاهد والمثل"[2] ،ويقول :" وقال محمّد بن عليّ بن عبد اللَّه بن عباس: "كفَاكَ مِن عِلْمِ الدين أن تعرِف ما لا يسَعُ جَهلُه، وكفاك مِن علم الأدب أن تروِي الشّاهدَ والمثل"[3] ،فجعل العلم مبنيا عليهما ،وجعل منهما شرطا للبيان ، وقال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن ألف مسألة فأجابني فيها بألف حجة"[4] ،أي بألف شاهد.

ومما يؤكِّد أهمية الشاهد والمثل كونُ قيمة العالِم محددة بإكثاره وحفظه لهما، فـ" قيمة العالم تتجلّى في معرفته بالشواهد،واستخراجه لها من الكلام الفصيح واستحضاره إياها عند الحاجة ."[5]

وعندما نمعن النظر في مؤلفات ومصنفات علماء العربية المختلفة نلحظ ذلك الاهتمام والإكثار من الشواهد ، **بداية** من المؤلفات المهتمة بمعاني القرآن، ومجازه وإعجازه كما في :

١-كتاب :"معاني القرآن" للفّراء، المعنيُ بشرح ألفاظ القرآن شرحا لغويا والمؤيد بالشواهد الشعرية وأوجه الاستعمال المعروفة .

---

(١) نظرية البلاغة متابعة لجماليات الأسلبة العربية،أ.د.عبدالملك مرتاض ،هيئة أبوظبي للثقافة والتراث"أكاديمية الشعر"، ط ١ ،١٤٣٢هـ ،٢٤٣

(٢) البيان والتبيين ،الجاحظ ١ /. ٢٧١

(٣) المصدر السابق ١ /٨٦

(٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،ابن خلكان ،تحقيق : إحسان عباس، دار صادر ،بيروت،ط١، ١٩٧٢م ، ١٣٦/٣

(٥) الشواهد والاستشهاد في النحو ،عبدالجبار علوان ، ٢٣

٢-كتاب :"مجاز القرآن" لأبى عبيدة ، المهتم بتأويل الآيات وبيان الأساليب القرآنية الذي "أكثر من الاستشهاد على الآيات بالشعر العربي"[١] ، وأقوال العرب المأثورة .

٣-المؤلفات التي في إعجاز القرآن ، للجاحظ والخطابي والعسكري والباقلاني والجرجاني والزمخشري ، فقد جعلوا أسلوب القرآن في مصنفاتهم المقياس البلاغي الأمثل، وأدى ذلك إلى النظر في الأساليب الأدبية نثرها وشعرها والموازنة بينهما، والإكثار من إيرادها؛ للوصول إلى بيان الفرق بين كلام الآدميين وكلام رب العالمين .

ومرورا بالمؤلفات المهتمة باللغة والأدب والتي أشير فيها للمسائل البلاغية والنقدية كما في :

١-كتاب "الكتاب" لسيبويه، الذي وقف فيه على مسائل بلاغية كثيرة، واستشهد عليها بآيات من القرآن والحديث وبأقوال العرب المأثورة.

٢-كتب الجاحظ :"البيان والتبيين" و"الحيوان"، حيث تناول فيهما موضوعات وفنونا بلاغية، وأثار قضايا نقدية، ولم يكن يعنى بوضع المصطلحات والمفاهيم، وإنما كان مهتما بإيراد شواهد وأمثلة كثيرة يمدّه بها محفوظ وافر من القرآن الكريم وكلام العرب، وقد علّق د.شوقي ضيف على ذلك بقوله: "إن الجاحظ قد ألمّ في كتاباته بالصور البيانية المختلفة، وبكثير من فنون البديع، غير أنه لم يسق ذلك في تعريفات وتحديدات ، فقد كان مشغولا بإيراد النماذج البلاغية"[٢]،وقد جمع الجاحظ بذلك القول والتطبيق، فهو القائل: "مدار العلم على الشاهد والمثل ."[٣]

وانتهاءً عند المؤلفات البلاغية المتخصصة كما في :

---

(١) مجاز القرآن،أبو عبيدة ،تحقيق : فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٣٨١هـ ، مقدمة المحقق :١٩

(١) البلاغة تطور وتاريخ د.شوقي ضيف ،دار المعارف، بمصر،ط ٨، ١٩٩٢م، ٥٦

(٣) البيان والتبيين ،الجاحظ ٢٧١/٨

١-كتاب :"البديع" لابن المعتز ،الذي "ساق نصوصا كثيرة رفيعة"[١]، لأنواع البلاغة الثمانية عشر التي ذكرها.

٢-كتاب :"الصناعتين " لأبي هلال العسكري ، الذي كانت البلاغة عنده قائمة على الإكثار من الشواهد والأمثلة وعلى تذوقها، والتحسسّ بجمالها، وقد أعلن ذلك صراحة بقوله: "ليس الغرض في هذا الكتاب مذهب المتكلمين، وإنما قصدت مقصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب ."[٢]

٣-كتابا:"دلائل الإعجاز"و" أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني، الذي ألحَّ على قضية النظم وردّ إعجاز القرآن إليها ، وفصّل هذه القضية تفصيلا قائما على الشاهد وضرب المثل من القرآن الكريم و الشعر العربي في "الدلائل" ، ونجده في "الأسرار" يورد كثيرا من أسرار الجمال في الصورة الأدبية ،ويبيِّن معالم التشبيه والاستعارة، وهو في كل ذلك إنما يستعين بالشواهد والأمثلة التي يحللها ويعلق عليها ، وقد ذكر د.شوقي ضيف بأنه "كان محيطا بنماذج الشعر العربي وفوائده"[٣] ، فكانت البلاغة عنده تحيا في النماذج الأدبية البليغة، وتلتصق بالنصوص الجمالية البديعية.

وقد تفطَّن العلماء إلى **أهمية دراسة الشواهد العربية**، كما فعل علماء النحو،حينما عكفوا على أهم الكتب النحوية يشرحونها ويدرسونها، ككتاب "الكتاب"سيبويه، التي بلغت شروح أبياته ما يقارب أربعة عشر شرحا، ومنها شرح: المبرد والزجاج والسيرافي ، والزمخشري وغيرها من الشروح، وهناك كثير من الكتب النحوية التي درست وشرحت شواهدها ومنها:

١-شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ،في بيان غريب إعراب الحديث في صحيح البخاري.

---

(١) نظرية البلاغة ، أ.د.عبدالملك مرتاض ،٤٣

(٢) الصناعتين،أبو هلال العسكري ، ٨

(٣) البلاغة تطور وتاريخ ، د.شوقي ضيف ، ٦٠

٢-شرح الشواهد، للعيني.

٣-شرح شواهد المغنى ،للسيوطي.

٤-خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب ،للبغدادي.

٥-شرح شواهد الشافية. لابن الحاجب ،للبغدادي.

ومثل ما قام به بعض علماء البلاغة ،عندما درسوا الشواهد البلاغية، ومن أهم هذه الدراسات :

١-شرح أبيات الإيضاح ،لفخر الدين الرازي .

٢-معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لعبد الرحيم العباسي.

٣-عقود الدُّر في حلِّ أبيات المطول والمختصر، لحسين بن شهاب العاملى.

٤-شرح أبيات التلخيص وشرحيه وحاشية السيد، لمحمد ذهنى.

٥-شرح الكافية البديعية ،لصفى الدين الحلي .

٦-خزانة الأدب وغاية الأرب ،لابن حجة الحموي .

٧-الشواهد القرآنية في الدراسات البلاغية إلى القرن الرابع الهجري ، لمحمد الدود.

٨-الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز، لنجاح أحمد الظاهر.

٩-الشواهد الشعرية في كتاب أسرار البلاغة، لعايد سليم الحربي.

وألمح في مقدمات مؤلفي البلاغة المدرسية إشارات تدل على اهتمامهم بالشواهد والأمثلة ؛تتمثل في حرصهم على اقتباسها من"القرآن الكريم...ومن الحديث

النبـوي ،ومـن المنتقـى مـن نصـوص الأدب العـربي شـعره ونثـره ،قديمـه وحديثـه "[1] ، وفي كونهـا منطلقـا ومرتكـزا لـ"اسـتخلاص القواعـد البلاغيـة"[2]، وفي مراعـاتهم أن تكـون متنوعة وغير مقصورة "على أمثلة تكررت في عدد من المؤلفات البلاغية ." [3]

(١) البلاغة (علم المعاني)٢ث ف١ ،٧

(٢) المصدر السابق ٧

(٣) البلاغة والنقد ،٢ث ف٢ ،المقدمة

الفصل الأول

مصادر الشواهد والأمثلة

توطئة :

أولا : مفهوم المصادر في اللغة والاصطلاح .

ثانيا : طبيعة الشواهد والأمثلة في المصنفات البلاغية التراثية .

المبحث الأول : تنوع الشاهد والمثال .

المبحث الثاني : أثر الذوق الأدبي في اختيار الشواهد والأمثلة البلاغية.

المبحث الثالث : توثيق الشاهد والمثال ونسبتهما .

المبحث الرابع : الملاءمة بين الشاهد والمثال وبين تطور الصور والأخيلة .

توطئة

أولا : مفهوم المصادر في اللغة والاصطلاح :

المصادر جمع مصدر ، وأصله (صَدْر) وهو : "أعلى مقدَّم كُلِّ شيء وأوّله ، حتى إنهم ليقولون : صَدْر النهار والليل ، و صَدْر الشتاء والصيف ...وصدر الأمر : أوله ...وصدر كل شيء أوله "[1]،ومن المجاز قولهم :" صُدِّرَ فلان فتَصَّدر : قُدِّمَ فتقدَّم ، وصَدَّرَ كتابه بكذا أي قدَّم له "[2]،وقولهم :"صَدَّر كتابه تصديراً إذ جعل له صَدَّرا ،وصَدرُ الكتاب :عنوانه وأوله "[3]، و" الصَّدر :بالفتح وسكون الدال المهملة بحسب (اللغة الفارسية) الأول وفوق كلِّ شيء . وفي اصطلاح العروضيين : يُسَّمون الركن الأول من المصراع الأول للبيت الصدر ."[4]

ونلمح من تلك المعاني اللغوية خيطاً دقيقاً يدلنا على أن المصدر هو : **أول الشيء وبدايته ، وعنوانه الدّال عليه.**

وعلى هذا فالمقصود بمصادر الشواهد والأمثلة في هذه الدراسة :

مقدمة الشواهد والأمثلة وأولها الذي نتعرف من خلالها على طبيعتهما (أنواعها،و كيف تم اختيارها ؟ وهل نُسِبت ووثِقت أم لا ؟ وهل كانت قديمة أم حديثة ؟)

---

(١) لسان العرب ،ابن منظور ،مادة (صَدَرَ) ٨ /٢٠٩

(٢) أساس البلاغة ،الزمخشري ،قراءة وضبط وشرح :د.محمد نبيل طريفي ،دار صادر بيروت،ط١ ،١٤٣٠هـ مادة (صدر) .

(٣) تاج العروس ،الزبيدي ، مادة (صَدَرَ)

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،التهانوي ، ١٠٧٠

ثانيا :طبيعة الشواهد والأمثلة في المصنفات البلاغية التراثية :

يجدر أن نتعرف على طبيعة بعض ما ورد من هذه الشواهد والأمثلة في المصنفات البلاغية القديمة؛ لإعطاء المتلقي تصوراً عاماً عن هذا الفصل ، فعبد القاهر الجرجاني على – سبيل المثال– في كتابيه (دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة) جاءت شواهده متنوعة بين الشعر والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، والأخبار المروية، والحكم والأمثال ، إضافة إلى الأمثال المصنوعة ،وكانت الشواهد الشعرية طاغية على الشواهد الأخرى ،من حيث الكمية، ثم تأتي الشواهد القرآنية في مرتبة تالية لها ، لأنه "يبغي أن يسوق دليل الإعجاز ، لا الحديث في الإعجاز والتفسير للقرآن "[1] ،من خلال دراسته أساليب الشعراء ، ووقوفه على أسرار تراكيبهم ،وقد كان مُعْمِلاً لذهنه، مُطيلاً لنظره ؛ لانتقاء أفضل الشواهد ، مما يدلنا على قيمتها البلاغية ، ونجده يقول : " ثم إنك تحتاج أن تستقري عدة قصائد بل أن تفلي ديواناً من الشعر ، حتى تجمع منه عدة أبيات. "[2]

وكانت أغلب شواهد منسوبة لأصحابها ، مما يدلنا على قيمة نسبة الشواهد في منهجه الذي سار عليه في كتابيه ،وعندما نبحث في ميلاد شواهده ، نجد أغلبها قريبة العهد بعصره ، لرغبته في المواءمة بين ما تحمله تلك الشواهد من معان وصور بلاغية ، وبين ما يستجيده الذوق في عصره ، مع إلمامه بقدر كبير من النماذج الأدبية الرائعة في العصور القديمة .

---

(١) معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر ، د. محمد بركات أبوعلي ، دار الفكر،الأردن، ط١، ١٩٨٤م،١١٥

(٢) دلائل الإعجاز ،عبد القاهر الجرجاني ،قرأه وعلق عليه :محمود محمد شاكر(أبوفهر)،مكتبة الخانجي ، القاهرة ط٥ ، ١٤٢٤هـ ٨٩

المبحث الأول

تنوع الشاهد والمثال

المطلب الأول :الشواهد القرآنية

المطلب الثاني : الشواهد النبوية

المطلب الثالث :الشواهد الشعرية

المطلب الرابع : الشواهد النثرية

المطلب الخامس :الأمثلة المصنوعة

المطلب الأول : الشواهد القرآنية :

كان للشاهد القرآني حضور مميز ولافت في مقررات البلاغة المدرسية ، وقد نُصَّ على هذا الحضور ، وأُلْمِح إليه ،فمؤلفو كتب المعاهد نصّوا في مقدماتهم على ذلك الحضور ، بقولهم : "واخترنا ما يناسب الطلاب في هذه المرحلة من نماذج القرآن الكريم ، موئل البلاغة ، وآية الإعجاز"[1]،وأما مؤلفو الوزارة فقد ألمحوا إلى ذلك الحضور ، عندما حرصوا على "جمال الشاهد البلاغي"[2] ،الذي يوردونه في كتبهم ، ومعلوم جمال الشواهد القرآنية .

وعند تتبع تلك الشواهد القرآنية المبثوثة في تلك الكتب ، نلحظ توازناً وتقارباً كميّاً فيما بينها ، فعددها في كتب المعاهد مائة وثلاثون شاهداً ، وفي كتب الوزارة مائة وعشرون شاهداً،وهذا الحضور المميز للشواهد القرآنية يدلنا على استشعار المؤلفين لقيمتها البلاغية ؛ والمتمثلة في أهدافها ومميزاتها .فالهدف الرئيس من إيراد الشواهد القرآنية ، يتمثل في" فهم أسرار إعجاز القرآن الكريم"[3] ،من خلال تربية الملكة البلاغية وتنمية الذائقة الجمالية لدى الطلاب .

إضافة إلى ما يلي :

١/ تحديد المفاهيم والمصطلحات البلاغية والنقدية ، وتوضيحها والتمثيل لها " فقد أسهم عن طريق الدراسات البلاغية التي طبقت عليه في تحديد أُطر علوم البلاغة، بعد

---

(١) البلاغة "علم البيان " للصف الأول الثانوي ،المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، ط ١٤٢٥هـ ، ٥

(٢) البلاغة والنقد ،٢ث،ف١ ،المقدمة .

(٣) البلاغة (علم البيان) ٥

أن كانت غير محددة المعالم"[1] ،فمثلاً في موضوع (الاستفهام) ، سيقت مجموعة من الشواهد القرآنية ؛ لتحديد الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام عن معناه الحقيقي[2] ،وفي موضوع (القصر) ، أُورِدت أربعة شواهد قرآنية، لتجلية مصطلح القصر ، ولمعرفة طرقه وتوضيحها للطلاب [3].

٢/الإسهام في تكوين الطلاب معرفياً ، وذلك من خلال "إضفاء صبغة ثقافية معرفية بما تضمنه الشاهد القرآني من أحكام شاملة،وأخبار تخصّ الأمم السابقة"[4]،كقوله تعالى:﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ٧١ ﴾ [5] ، فهنا حكم شرعي في التوبة ، ويقول تعالى:﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ١٢٠ ﴾ [6]، فهذه الآية تخبرنا عن قصة آدم –عليه السلام – مع الشيطان .

٣/تهذيب سلوك الطلاب ،من خلال انتقاء شواهد قرآنية مناسبة لأحوالهم ،كقوله تعالى :﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [7]، فهذه الآية فيها تربية على التوكل على الله وحده لا شريك له ، فهو الذي يرزق وحده من خيرات السموات والأرض . وقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا

(١) علم المعاني ، عبدالعزيز عتيق ،دار النهضة العربية ،بيروت ، ط ١ ،١٩٨٥م ، ٢٥

(٢) البلاغة والنقد ٢ث ف١، ٧٥

(٣) المصدر السابق ٦٠

(٤) الشاهد في النقد العربي القديم ، علاء النفاخ ، ٧٥

(٥) سورة الفرقان : ٧١

(٦) سورة طه : ١٢٠

(٧) سورة سبأ: ٢٤

﴿ تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [1]، ففي هذه الآية الكريمة نهي عن كثرة السؤال بغير سبب ، أو السؤال من أجل الاستهزاء.

وتحقيق الهدفيين الأخيرين مرهون بدور المعلم في "ربط الصورة البلاغية ما أمكن بالحالة الوجدانية والنفسية "[2] لدى الطلاب.

وأبرز مميزاته :

١/ تسيّده للشواهد البلاغية الأخرى " ليس في عدده فحسب ،وإنما في قوته وثبوته وصحته"[3] ،وسلطته المطلقة عليها ؛ فهو كلام الله المعجز ، ويقول عبد القاهر الجرجاني مقرراً تلك السلطة " إذا كنا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت ، وبانت وبهرت ، هي أن كان على حدّ من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، ومنتهياً إلى غاية لا يُطمح إليها بالفكر .. كان الصادّ عن ذلك صاداً أن تعرف حجة الله تعالى "[4] ، كما أن مقاصد الشاهد القرآني يقينية حقيقية ، لا تحتمل شكاً أو ريباً كالشعر والنثر ، وبالتالي ستكون نسبة تصديق المتلقي للقواعد والأحكام البلاغية عالية جداً .

٢/ ارتباطه بإعمال العقل ، وإثارة الذهن ، فالشواهد القرآنية" لها القدرة على تحفيز العمليات الفكرية لدى المتلقي ، وتنشيطها بإعمال العقل وإحالة الفكر فيما يحتج

---

(١) سورة المائدة :١٠١

(٢) البلاغة (علم المعاني) ٢ث ف١ ،٧

(٣) الشاهد في النقد العربي القديم ، علاء النفاخ ، ٧٤

(٤) دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجاني ، ٨

بـه؛ بغيـة إدراك وجـه الشـاهد فيـه، وفيـــما يحـتج لـه أو عليـه ، لإدراك حقيقتـــه والبقاء عليه ."[1]

(١) مباحـث التأويـل النحـوي والاحتجـاج عنـد أبي علـي النحـوي، رسـالة دكتـوراة مقدمـة مـن الباحـث : علـي جميـل العبيـدي ، إلى كلية الآداب بجامـعة المستنصرية بالعراق، ١٤١٦هـ ، ٧٢

المطلب الثاني : الشواهد النبوية :

من يبحث في مقررات البلاغة المدرسية عن الحديث النبوي الشريف – الموصوف صاحبه بالوحي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ٤﴾ [1] ،والمدعّم بالبيان الرباني ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ٤ ﴾ [2]،والمؤتى جوامع الكلم ، والمفسِّر للقرآن الكريم ، والموضح لأمور المسلمين عباداتهم ومعاملاتهم ، والمؤثر الرئيس – بعد القرآن الكريم – في نشأة البلاغة وتأسيسها ، والذي يُعدّ "حلقة أساسية _ذهبية _في تاريخها"[3] ، فلن يجده موضحاً ومُبرِزاً لتلك البلاغة النبوية ؛ وذلك لقلة الاستشهاد به ، مع أن مؤلفي كتب المعاهد قد أشاروا إلى اختيار ما يناسب الطلاب من حديث المصطفى – صلى الله عليه وسلم –الذي أوتي جوامع الكلم ، ومع ذلك لم يستشهدوا إلا بسبعة عشر شاهداً فقط ، وُزعت على علوم البلاغة الثلاثة.

كذلك الحال مع مؤلفي كتب الوزارة ، فالشواهد النبوية لا تتجاوز عندهم ثلاثين شاهدا ، وقد اتفقت تلك المقررات على الإقلال من الاستشهاد بالحديث النبوي .

ولم تكن كتب المعاهد الأزهرية أحسن حالا من كتب المعاهد ،وكتب الوزارة، إذ قلّ استحضارها للشواهد النبوية .

---

(١) سورة النجم : ٤

(٢) سورة الرحمن : ٤

(٣) النسق البلاغي للكلم النبوي ، د.عبدالهادي دحاني ، ندوة الدراسات البلاغية : "الواقع والمأمول" ،والمنعقدة في كلية اللغة العربية (قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي) بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ٢١-١٤٣٢/٦/٢٢هـ ،١٦٥٨

وقد تباينت المصنفات البلاغية التراثية في الاستشهاد بالحديث النبوي ، فالجاحظ قد عوّل في مصنفاته على الشاهد النبوي ، ، فقال :" أحببنا أن نصدِّر هذا الجزء(البيان والتبيين)بكلام من كلام رسول ربِّ العالمين ..."[1] ،وأولاه أهمية خاصة بعد الشاهد القرآني ؛ لأنه " كلام جليل وجب تقديمه وتبجيله في نظره (أي الجاحظ)لسببين أولهما كونه بيِّنا في ذاته وعنوان بيان في نصه ،وثانيهما كونه يحث على التبيين والتوضيح ويشيد بوظيفة التبليغ "[2] ،وهذان السببان يتفقان مع مقصد الجاحظ المقرر بقوله:"وسنذكر من كلام الرسول مما لم يسبقه إليه عربي ولا شاركه فيه أعجمي ولم يدع لأحد ولا ادّعاه أحد مما صار مستعملا ومثلا سائرا. "[3]

وأما كتاب (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني فقد كان الشاهد النبوي فيه شبه مغيَّبٍ موازنة بالشواهد البلاغية الأخرى .وكان لذلك التغيّبِ جذور متأصلة عند بعض النحويين واللغويين لأسباب ذكروها .[4]

ويعد هذا الغياب للشواهد النبوية في المصنفات البلاغية القديمة والحديثة، ظاهرة جلية وواضحة ،تستحق الدراسة والبحث والتفتيش من قِبل علماء البلاغة .

المطلب الثالث :الشواهد الشعرية :

---

(١) البيان والتبيين ،الجاحظ ١ / ٥

(٢) مدونة الشواهد في التراث البلاغي ،د.مراد عياد ، ٢/ ٢٠

(٣) البيان والتبيين ،الجاحظ ، ١ /١٥

(٤) قضية الاستشهاد بالحديث النبوي في النحو واللغة نُوقِشت في كتب عديدة ،منها :

- قضية الاستشهاد بالحديث النبوي في النحو العربي للدكتور عبد المحسن القيسي .
- إثبات الأحكام النحوية بالأحاديث النبوية للدكتور حسن محمود هنداوي .
- الشواهد والاستشهاد في النحو للدكتور عبد الجبار علوان النايلة .

تسيّد الشاهد الشعري الشواهد البلاغية في مقررات البلاغة المدرسية تسيّداً كميّاً ، فهو الشاهد الرئيس المعتمد فيها ، ونحن لا نعدم أن نرى في كل مسألة بلاغية شاهداً شعرياً ؛ فقد حرص المؤلفون "على اقتباس الأمثلة ... من نصوص الأدب العربي شعره ونثره ."[1]

وعند تتبع هذه الشواهد الشعرية في تلك المقررات نلحظ تفاوتا كميّا فيما بينها؛فعددها في كتب المعاهد قرابة الأربعمائة شاهد، بينما عددها في كتب الوزارة يقارب مائتي شاهد ،ونلحظ أيضا تفوقا نوعيّا للشواهد الشعرية في الكتابين على الشواهد البلاغية الأخرى،ولم تختلف المعاهد الأزهرية عن المعاهد السعودية ،وذلك عندما أكثرت من الشواهد الشعرية على غيرها من الشواهد .

وهذا الحضور اللافت للشواهد الشعرية ، يدل على إدراك القائمين على تلك الكتب قيمة الاستشهاد بالشعر،ومن ثمار هذا الحضور ما يلي :

١- منزلته في تاريخ الأدب العربي على مرّ العصور، إذ كان يمثل الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسة للعرب ، منذ العصر الجاهلي،حتى يومنا هذا ، فهو "مستودع آدابها ومستحفظ أنسابها ونظام فخارها يوم النفار،وديوان حجاجها عند الخصام"[2].

---

(١) البلاغة (علم المعاني) ٢ث ف١ ، ٧

(٢) مقدمة شرح ديوان الحماسة ،المرزوقي،تحقيق: أحمد أمين ، وعبدالسلام هارون، دار الجيل،بيروت،ط١٤١١،١هـ، ٣

فالشعر من التراث الذي يجب الحفاظ عليه ؛ليكون الطالب على "ارتباط وثيق بتاريخ أُمتنا...والإفادة من سير أسلافنا"[1] ،بما خلفوه من أشعار .

٢- تربية الذوق وتنميته لدى الطلاب ؛حيث إن تفسير مفردات القرآن وإيضاح غريبها ، تطلب في الشعر ، فابن عباس – رضي الله عنه – يقول : "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب"[2]. فالشعر له أثر واضح وجليّ في وصولنا إلى فهم أسرار الإعجاز القرآني ،وهو(هدف البلاغة الرئيس)،فالعلاقة بين الشعر والقرآن " علاقة توازٍ تؤدي إلى إزالة الخفاء وتجلية النص القرآني لينفتح – الطالب –على ما فيه من رقي وسمو"[3] ،ولذا نجد عالما فذّا كالإمام عبدالقاهر الجرجاني يربط بين دراسة الشعر والعقيدة ، ويرى أن الصّاد عن دراسة الشعر هو صّاد عن دراسة وفهم القرآن الكريم .[4]

---

(١) الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم في المملكة العربية السعودية ،متاح على موقع وزارة التربية والتعليم : http://www.nmisr.com/vb/showthread. تاريخ الدخول :١٢/٦/٢٠١٣م

(٢) العمدة ،ابن رشيق ١٧/١

(٣) الشاهد في النقد العربي القديم، علاء النفاخ ، ٤٣

(٤) دلائل الإعجاز ،عبد القاهر الجرجاني، ٨ ، فقد ذكر في معرض حديثه عن منزلة الشعر :"وذاك أنَّا إذا كنّا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت ،وبانت وبهرت ،هي أن كان على حدّ من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر ، ومنتهيا إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر ،وكان محالا أن يعرف كونه كذلك ،إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب ،وعنوان الأدب والذي لا يُشك أمه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان ، وتنازعوا فيهما قصب الرهان ، ثم بحث عن العِلل التي بها كان التباين في الفضل ،وزاد بعض الشعر على بعض كان الصاد عن ذلك صادّا عن أن تعرف حجة الله تعالى ،وكان مثله مَثَلَ من يتصدى للناس فيمنعهم عن أن يحفظوا كتاب الله تعالى ويقوموا به ويتلوه ويُقرِئوه ".

٣-شيوعه وشهرته بين الناس ، وسرعة حفظه وطول بقائه في الذاكرة ، وقد علّل ابن سنان الخفاجي اقتصاره على الشعر دون النثر بقوله : " لكثرة المنظوم واشتهاره ، ورغبتي في أن يسهل الوزن عليك حفظ ما أذكره ."[١]

٤-تعويد الطلاب وتدريبهم على" التمييز بين الأساليب المختلفة ، والموازنات البلاغية "[٢] ،من خلال الشواهد الشعرية ، وهي طريقة رائعة في إظهار وجه الجمال ،وقد أطال في ذلك عبدالقاهر الجرجاني في (دلائل الإعجاز) وقام بعمل موازنات بين الشعراء، ودائما ما يبرز أثرها في بيان المقصود ،فيقول :"وإذا كان الشيء متعلقا بغيره،ومقيسا على ما سواه كان من خير ما يستعان به تقريبه من الأفهام وتقريره في النفوس ، أن يوضع له مثال يكشف عن وجهه ويؤنس به ،ويكون زماما عليه يمسكه على المتفهم له والطالب علمه."[٣]

وكان استعمال الشاهد الشعري في كتب البلاغة المدرسية ؛ للاستدلال به على المسائل البلاغية المبثوثة في ثناياها ، إضافة إلى التمثيل للفنون البلاغية المختلفة ،وهو استعمال لم يخرج عن طريقة علماء البلاغة الأوائل الذين "يوردون القاعدة البلاغية أو المصطلح البلاغي ، ويشرحونه بإيجاز ، ثم يأتون بالشواهد والأدلة والأمثلة التي تثبت ما توصلوا إليه ، وتوضح هذه المفاهيم ."[٤]

---

(١) سرُّ الفصاحة ،ابن سنان الخفاجي ، ٧٧

(٢) البلاغة (علم البيان) ٥

(٣) دلائل الإعجاز ،عبدا لقاهر الجرجاني ،٥٧٥

(٤) الشاهد في النقد العربي القديم ، علاء النفاخ ،٤٧

المطلب الرابع :الشواهد النثرية :

يقصد بالنثر كل ما أُثِر عن العرب من خطب وأمثال وحكم ووصايا ورسائل منذ العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا ، وقد أشار مؤلفو البلاغة المدرسية إلى ضرورة استثمار الشواهد النثرية بوصفها شاهدا مهما في القضايا والمسائل البلاغية ،وأشاروا إلى أنهم أخذوها من "نصوص الأدب العربي "[1] ، لكن تلك الإشارات لم تترجم على أرض الواقع ، إذا ما عرفنا أن عدد شواهدها قليل جدا ، لا توازي أهميتها البلاغية –التي سنتطرق إليها بعد قليل– إذ لم تتجاوز شواهد كتب المعاهد النثرية ثلاثين شاهدا،وكذلك الحال في كتب الوزارة،وكتب المعاهد الأزهرية .

وقد كانت المصنفات البلاغية والنقدية القديمة مستثمرة لتلك الشواهد النثرية استثمار حقيقيا في القضايا البلاغية ، فالجاحظ – على سبيل المثال – ركّز على الشاهد النثري في مؤلفاته المتعددة ،فحرص على استحضار الأمثال والحِكم في مصنفاته ، وكانت " تُعدُّ عنصرا تمثليا جوهريا في المواقف الخطابية "[2] ؛استشعارا منه لقيمتها البلاغية ،والمتمثلة في أنها " مولدا للخصال البلاغية الكبرى ومجمعا للأساليب الدقيقة المحكمة التي تختزل الرؤية والتجربة والفكرة باختزال العبارة ،فتُعدُّ بذلك مداخل مهمة إلى تأسيس بلاغة الإيجاز والإشارة والإيحاء والكناية والتعريض وطرافة الفكرة وقوة التمثيل والتخييل بما لها من طاقات في المجاز تصويرا وتحويلا "[3]، فالاستشهاد بالحِكم والأمثال يساعد الطالب "على إنشاء الكلام البليغ والتعبير عن

---

(١) البلاغة (علم المعاني) ٢ث ف١ ، ٧

(٢) مدونة الشواهد في التراث البلاغي، د.مراد عياد ، ٢ / ٢٦

(٣) المرجع السابق ٢٧

مكنــون نفســه بأســلوب أدبي جديــد"[1] ؛ بمــا يحمــلان مــن دلالات ومعــان ،وإيجــاز وتصوير .

(١) البلاغة (علم المعاني) ٢ث ف١ ، ٧

المطلب الخامس : الأمثلة المصنوعة :

لم تكن الأمثلة المصنوعة في مقررات البلاغة المدرسية متساوية ، بل كان هناك تفاوت في أعدادها ، فكتب المعاهد لم تنشأ إلا عشرين مثالاً ، أما كتب الوزارة فأنشأت قرابة السبعين مثالاً ؛ وقد يكون لتركيز كتب المعاهد على الشواهد الشعرية والقرآنية أثر في ذلك التفاوت ، وقد يكون لنوعية الطلاب أثر في نوعية الشواهد المستحضرة ؛ فطلاب المعاهد متخصصون في العلوم العربية ، أما طلاب الوزارة فليسوا متخصصين لذلك تساق لهم أمثلة مصنوعة بسيطة للتدرج معهم في إيضاح المسائل البلاغية .

وعندما نبحث عن الأمثلة المصنوعة في مقررات المعاهد الأزهرية نجدها قليلة جدا ،ومتوارية في التحليلات البلاغية للشواهد .

ونجد الأمثلة المصنوعة في المصنفات البلاغية القديمة مغفلة في كتب ، ومحتفلا بها في كتب أخرى ، فابن سنان الخفاجي قد عزف عن الأمثلة المصنوعة في كتابه (سرُّ الفصاحة)،وقد برّر د. عبدالكريم الحياري ذلك العزوف بقوله:إن الأمثلة المصنوعة "منحطة فنياً، وليست أصلاً للاحتذاء أو التذوق."[1]

لكن عبد القاهر الجرجاني قد استعان بها في كتابيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) ، فاستخدمها أثناء عرضه لتحليل الشواهد ، وبنى عليها أحكاماً بلاغية عديدة ، ففي باب الفصل والوصل أورد مجموعة كبيرة من الأمثلة المصنوعة

---

(١) الأسس النظرية للمنهج التعليمي في بلاغة ابن سنان الخفاجي، د.عبدالكريم الحياري،مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد:٦٥،٢٠٠٣م ،٢٩

فقال : " مررت برجل خلقُه حسن وخلقهُ قبيح "[1]،وفي التقديم والتأخير ، وفي الاستفهام بالهمزة ، وغيرها من المسائل البلاغية .

وقد يكون هناك استشعار لقيمة الأمثلة المصنوعة عند مؤلفي كتب الوزارة ، تتمثل في أمور عديدة منها :

١/الإيجاز والاختصار ، وذلك يساعد على توضيح المسائل البلاغية في أذهان الطلاب .

٢/ المرونة التي تمكنهم من تفصيلها على قدر مرادهم ، وتأليفها على النحو الذي يخدم الفكرة التي يريدون صياغتها .

٣/ إمكانية إخضاعها للفلسفة التربوية الحديثة ، من خلال تنمية عقل الطالب ثقافياً ، وامتثالها على جوانب أخلاقية وعقدية وما يتصل بالأوطان، والتي يعد غرسها في نفوس الطلاب من الأهداف المهمة التي تبتغيها العملية التربوية كقولهم : " قال رجل لطبيب يدخن : لا تدخن وأنت تنصح الناس بالإقلاع عن التدخين "[2] ،وأيضاً قولهم : " هل صليت الفجر في المسجد ؟ نعم " [3] ، وقال رجل لابنه الجالس بجواره : أي بني حذار من المخدرات ، فإنها طريق إلى الهاوية " ويقول الأستاذ لأحد طلاب الفصل : " أيا هذا الطالب ، لا تغفل عن الدرس ."[4]

---

(١) دلائل الإعجاز ،عبد القاهر الجرجاني، ٢٢٧

(٢) البلاغة والنقد ٢ ث ف١ ،٧٠

(٣) المصدر السابق ٧٥

(٤) المصدر السابق ٨٤-٨٧

وسأتحدث عن القيمة الفنية للأمثلة المصنوعة ، وأثرها في الذوق في المبحث التالي -إن شاء الله تعالى -

المبحث الثاني

أثر الذوق الأدبي

في اختيار الشواهد والأمثلة البلاغية

توطئة :مفهوم الذوق الأدبي في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول : اختيار الشواهد والأمثلة في المصنفات البلاغية التراثية.

المطلب الثاني : اختيار الشواهد والأمثلة في مقررات البلاغة المدرسية.

توطئة

الذوق الأدبي في اللغة والاصطلاح :

وردت لفظة (الذوق) في معاجم اللغة لمعنى حسي ، يتمثل في : تمييز طعم الأشياء عن طريق اللسان [1]، ثم استخدمت لفظة (الذوق) مجازا كقولهم : " ذُقتُ فُلانا وذُقتُ ما عندهُ ، وذُقتُ الناسَ وأكلتُهم ووزِنتُهم وكِلتهم فما استطعمت طُعومهُم ولا استرجحتُ حُلومهم " [2]،فدّل الذوق على الخبرة بالناس ومعرفتهم .

ثم استعيرت لفظة (الذوق) مجازاً للمجال الأدبي ، فابن خلدون يقول : "اعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفن البيان ... ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان ،واستعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق ،الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان ،وإنما هو موضوع لإدراك الطعوم ،ولكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل لإدراك الطعوم استعير لها اسمه ."[3]، فأصبحت تدل على : أ) **الحاسة المعنوية** ، التي " يصدر عنها انبساط النفس وانقباضها لدى النظر في أثر من آثار الفن والأدب."[4]

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،الفيومي، المكتبة العلمية بيروت، باب(ذوق)،٢١١/١
لسان العرب ،ابن منظور، مادة ذوق ٥٢/٦
المعجم الوسيط ،باب الذال ، ٣١٨/١

(٢) أساس البلاغة ،الزمخشري ، مادة (ذوق) ٢٠٨

(٣) مقدمه ابن خلدون ،٥٦٣

(٤) المعجم الوجيز ، ٢٤٨

ب) **الطبع** ، يقال " هو حسن الذوق للشعر إذا كان مطبوعا عليه. "[١]

ج) **الملكة البيانية** ،كما قررها ابن خلدون بقوله عندما فسّر الذوق بأنه "حصول ملكة البلاغة للسان."[٢]

ومن خلال ما تقدم اتَّضح أن الذوق الأدبي :

قوة وقدره نابعة من الإحساس الفني، والطبع ، والملكة البيانية "يُميّز بها جمال النص الأدبي أو رداءته . "[٣]

(١) أساس البلاغة ،الزمخشري ، مادة (ذوق) ٢٠٨

(٢) مقدمه ابن خلدون ،٧٥

(٣) الذوق الأدبي ، د. عبد القدوس أبو صالح ،متاح على موقع منتديات أزاهير الأدبية / موسوعة الأدباء العرب : http://azaheer.org/vb/forum.php تاريخ الدخول :٢٠١٢/١٢/٥م

المطلب الأول :

اختيار الشواهد و الأمثلة في المصنفات البلاغية التراثية:

واجه البلاغيون القدماء مسألة اختيار الشواهد والأمثلة بـ"الوعي النظري أو بالممارسة التطبيقية، فلم يكن الاختيار عمليّة يسيرة بل كانت عندهم دقيقة لا تقلُّ – في عسر مخاضها – عن عملية الخلق والإبداع ذاتها ،وهي تحتاج إلى أدوات صارمة في التمييز والتنقيح "[1] ،فكانوا يعون دقة الاختيار وأهميته في تأسيس الدرس البلاغي وتعهده وتطويره.

فالجاحظ قد ربط بين اختيارات الرجل وميزات عقله إذ يقول :" واختياره قِطعة من عقله"[2]،كما ربط بين البيان وعملية الاختيار إذ يقول :"والإنسان لا يحتاج في الجهل إلى أكثر من ترك التعلم وفي فساد البيان إلى أكثر من ترك التخيّر "[3]،فقد جعل من التخير شرطا رئيسا يتوقف عليه البيان .

وابن المعتز في (البديع) ركّز على الشواهد البليغة من القرآن الكريم ومن الحديث الشريف ،ومن كلام الصحابة –رضوان الله عليهم –،ومن عيون الشعر ،

(١) مدونة الشواهد في التراث البلاغي ، د مراد بن عياد ٢ / ١٤

(٢) البيان والتبيين ،الجاحظ ١/ ٧٧

(٣) المصدر السابق ٣/ ٢٤

ومن الأعراب وبلغاء الكتّاب، وكان أهم ما يميز كتابه : "الذوق وسعة الإطلاع وحسن الاختيار في جميع شواهده."[١]

وقد أخذ العسكري عن الجاحظ عبارته السابقة بنصِّها ،وكان يولي عملية الاختيار " أهمية بالغة ويعتبرها جزءا أساسيا من عمل البلاغي والناقد معا. "[٢]

وقد بيَّن ابن سنان الخفاجي في مقدمة كتابه(سرُّ الفصاحة)ما واجهه من صعوبات تمثلت في تفحص الدواوين الشعرية ،والخروج منها بأمثلة قليلة، فقال :" أفتقر الى تأمل الديوان الكامل حتى أظفر منه بالكلمات اليسيرة فأوردها مثلا ." [٣]

وقد تميَّز عبد القاهر الجرجاني بملكة ذوقية في كتابيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) ظهرت في براعة اختياراته الأدبية- كما مرّ بنا - ، فالعناية الفائقة بالاختيار ، منهج رسمه لمصنفاته إذ يقول : " ثم إنك تحتاج أن تستقرئ عده قصائد بل أن تفلي ديواناً من الشعر حتى تجمع منه عده أبيات " . [٤]

وعندما نقف على كتاب (الطراز) ليحي العلوي ، نلحظ طريقة مميزة في الانتقاء ،فقد " اختار منهجا فريدا قائما على اختيار الشاهد القرآني ، ثم الشاهد من الحديث النبوي ، ثم الشاهد من كلام الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله

---

(١) مقدمة ابن المعتز لكتاب البديع ،هاني الطنبور ،متاح على موقع :روح الإسلام /موسوعة علوم اللغة –الإصدار الأول : http://www.islamspirit.com تاريخ الدخول :١٢/٤/٢٠١٣م

(٢) الصناعتين ، لأبي هلال العسكري، ١١

(٣) سرُّ الفصاحة ،ابن سنان الخفاجي ، ٥٥

(٤) دلائل الإعجاز ،عبدالقاهر الجرجاني ، ٨٩

عنه – ثم الشواهد من كلام العرب شعراً ونثراً " [1]، ونلمح اعتماده على شواهد نثرية ثم شعرية ،كما أن النصوص ممزوجة من القديم والحديث ، لم يذكرها غيره من البلاغيين السابقين له وفي ذلك دلالة على حسن الذوق ورهافة الحسّ في الاختيار.

(١) تيسير البلاغة في كتب التراث د.بن عيسى باطاهر، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ،العدد :٦٥، ١٦

المطلب الثاني:

اختيار الشواهد والأمثلة في مقررات البلاغة المدرسية :

أولا :الجانب النظري:

اتخذ مؤلفو مقررات البلاغة المدرسية في اختيار الشواهد والأمثلة التي يدرسها الطلاب منهجاً علمياً محدداً، وهذا من صميم عمل المؤلف ، " لأن الاختيار يعني التمييز والتفضيل لهذه النصوص المختارة دون غيرها "[1].

وقد سار مؤلفو البلاغة المدرسية في اختياراتهم على منهج يراعي الأهداف العامة للمؤسسات التربوية والتعليمية (وزارة التربية والتعليم – جامعه الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، و من أهمها :" تحقيق الخلق القرآني في المسلم ، والتأكيد على الضوابط الخُلقية لاستعمال المعرفة ... وتربية المواطن ليكون لبنة صالحة في بناء الأمة" [2]وذلك باختيارهم شواهد وأمثلة تحمل قيماً أخلاقية ومعانٍ إنسانية ، تصقل بها نفس الطالب وتهذبها ، فـ " الاهتمام بالجانب التربوي "[3] أساس مهم في اختياراتهم المتنوعة .

---

(١) الاختيار الشعري ، محمد الصادق الخازمي ، مجلة الرَّقيم للآداب العربية على الشبكة العنكبوتية ،٢٠١٠م

(٢) غاية التعليم وأهدافه العامة في المملكة العربية السعودية ، متاح على موقع: وزارة التربية والتعليم : http://www.nmisr.com/vb/showthread. تاريخ الدخول :٤/٩/٢١٠٣م.

(٣) البلاغة والنقد ٢ث ف١ ، المقدمة

وفي المقابل ابتعدوا عن الشواهد والأمثلة " التي تخالف في مضمونها الذوق حسب المعيار الديني والأخلاقي "[1] ، كما ساروا في اختياراتهم على منهج يحرص على " جمال الشاهد البلاغي " [2]، ويشدّدُّ على انتقائه من " القرآن الكريم منبعِ البلاغة وآيةِ الإعجاز ، ومن الحديث النبوي ، ومن المنتقى من نصوص الأدب العربي شعره ونثره " [3]،والابتعاد عن الشواهد " الموغلة في الغرابة " [4]،لأن من أهم أهدافهم في تدريس البلاغة تربية الملكة البلاغية ، وتنمية الذوق الأدبي لدى الطلاب، وهذا الهدف يتحقق بالحرص على البيان العالي من القرآن والحديث ومن الجيد من كلام العرب شعراً ونثراً .

وقد أشار مؤلف أسرار البيان في المعاهد الأزهرية إلى ضرورة الاستشهاد من :"القرآن الكريم ،والحديث النبوي الشريف،ومن جيد الشعر والنثر...وإدخال طُرف ومُلح يجد فيها الطالب المتعة الفنية ."[5]

وقد أضاءت لنا النقولات السابقة ،الجانب النظري لمنهج المؤلفين في عملية الاختيار، ولإضاءة الجانب التطبيقي لهذا المنهج لابد لنا من معايشة حيّة لبعض الشواهد والأمثلة ؛ لنتعرف على المسافة بين النظرية والتطبيق .

---

(١) البلاغة(علم المعاني) ٢ث ف١ ،٥

(٢) البلاغة والنقد ٢ ث ف ١ المقدمة

(٣) البلاغة (علم المعاني) ٢ ث ف١، ٧

(٤) المصدر السابق ٥

(٥) أسرار البيان ،للصف الأول الثانوي ،قطاع المعاهد الأزهرية،تأليف: د.علي محمد حسن العماري ،جمهورية مصر العربية ، للعام الدراسي،١٤٣٢هـ/١٤٣٣هـ ، ٣

والمؤلفون هنا أمام اختبار حقيقي لسلامة طِباعهم وحسن أذواقهم ، لأن الاختيار " ليس حشدا للشواهد الأدبية ... وإنما هي عملية تذوقية ،معجونة بالحس الإبداعي للمصنف ، ولِما يختاره من نصوص" [1]، ولا شك أن النصوص عندما تُعرض وتُقدم فهي تُفصِح عن نفسها ، وتؤدي ما لا يؤديه التنظير .

ثانيا : الجانب التطبيقي :

كان اختيار الشواهد البلاغية في المقررات المدرسية متنوعا بين الشواهد القرآنية والنبوية ،والشعرية والنثرية ، إضافة إلى الأمثلة المصنوعة .

وكان اختياراً متباينا فنياً ، فالآيات القرآنية قمة في الفصاحة والبيان، و في النظم والصياغة، وهي متماسكة ومتماثلة في القوة والإحكام .

وتأتي الأحاديث النبوية الشريفة تالية لها ، فصاحبها-صلى الله عليه وسلم – أوتي جوامع الكلم ودُعِّم بالوحي الإلهي .

وبعد ذلك تأتي النصوص الشعرية والنصوص النثرية التي تتفاوت مراتبها وتختلف مستوياتها ، لاختلاف طبيعتها الفنية ، فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الردئ الفاسد.

أما الأمثلة المصنوعة ، فلا تلمح فيها أثرا للبيان ولا تقف على صور وخيال!

كذلك الحال مع شواهد المعاهد الأزهرية ،فجاء اختيارها متنوعا بين الشواهد القرآنية ،والنبوية،والشعرية،والنثرية،إلا أنهم لم يهتموا بالأمثلة المصنوعة .

---

(١) علم نفس الأدب وتربية الموهبة الأدبية،د. مصري عبدالحميد حنورة ،دار غريب بالقاهرة، ط١ ،٢٠٠٢م، ٢٠

وسأعرض إلى هذا التباين ، وذاك التنوع ؛ لكونهما منطلقا مهما للوقوف على أثر الذوق الأدبي في الاختيار :

أولاً : الشواهد القرآنية :

أُستُشهِد بالآيات القرآنية في أغلب القضايا البلاغية المبثوثة في ثنايا هذه المقررات ،وفي ذلك دلالة على الذوق العالي والرفيع ، الذي أحسسنا به ، واستشعرناه من خلال الاختيار ، ومن خلال القدرة على توظيفها بما يخدم القواعد والمسائل البلاغية من قِبل المؤلفين ، وسأورد بعضا من هذه الآيات موزعة على مجموعات تراعي المقررات :

المجموعة الأولى[1] :

قال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ٩٠ ﴾[2] ،وقال تعالى:﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ ﴾[3]،وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ٢٥ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ٢٦ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ٢٧ ﴾ [5]

(١) البلاغة والنقد ٢ث ف١ ، ٤٥-٥٨

(٢) سورة المائدة :٩٠

(٣) سورة الأنبياء :٨٣

(٤) سورة النساء :٥٩

(٥) سورة طه :٢٧

المجموعة الثانية : [1]

قال تعالى:﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ٦٣﴾[2]،وقال تعالى:﴿ وَحُورٌ عِينٌ ٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ٢٣﴾[3]،وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ [4] ،وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۚ ﴾ [5]

المجموعة الثالثة : [6]

قال تعالى :﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ٢٤ ﴾[7]،وقال تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾[8]

---

(١) البلاغة (علم البيان) اث ، ٣٧-٣٩-٤٥

(٢) سورة الشعراء :٦٣

(٣) سورة الواقعة : ٢٢-٢٣

(٤) سورة النبأ :١٠

(٥) سورة الجمعة :٥

(٦) البلاغة والنقد للصف الثالث ثانوي ،وزارة التربية والتعليم ،المملكة العربية السعودية،الفصل الدراسي الأول، ط ١٤٣٢/ ١٤٣٣هـ ، ١٧-٢٥-٣١-٥٧

(٧) سورة الرحمن :٢٤

(٨) سورة إبراهيم :١٨

وقال تعالى :﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾[1] ،وقال تعالى : ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ ﴾ [2]

المجموعة الرابعة : [3]

قال تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ ﴾[4]،وقال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ٢١ ﴾[5] ،وقال تعالى: ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [6]،وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ ﴾ [7]

(١) سورة هود :٨

(٢) سورة التكوير :١٨

(٣) البلاغة (علم المعاني) ٢ث ف٢ ، ٢٤-٢٨-٥٨-٦٥

(٤) سورة النجم :٣٩

(٥) سورة الغاشية :٢١

(٦) سورة البقرة :٩٣

(٧) سورة آل عمران :٨٤

ثانياً : الشواهد النبوية :

جاء الاستشهاد بالأحاديث النبوية قليلاً ونادراً ، ومع ذلك كان في اختيارها علامة على حسن الذوق وسلامته ، وسأعرض بعضاً من هذه الأحاديث النبوية موزعة على مجموعات تراعي المقررات :

المجموعة الأولى[1] :

قال الرسول □ : "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُتُرجّة ريحها طيب وطعمها طيب ." [2]

وقال □ : " أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل . " [3]

وقال □ : " إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعا وهات ووأد البنات وكره لكم القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال . "[4]

---

(١) البلاغة والنقد ٣ث ف١ ، ٢٠-٧٠-٩١

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأطعمة، ٥٠٣٢ ،متاح على موقع المكتبة الإسلامية : WWW.Islamweb.net،تاريخ الدخول :٢٠١٣/٩/٢٧م

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب، ٣٥٧٨ ، متاح على موقع المكتبة الإسلامية : WWW.Islamweb.net،تاريخ الدخول :٢٠١٣/٩/٢٧م

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق، ٦٠٩١ ، متاح على موقع المكتبة الإسلامية : WWW.Islamweb.net،تاريخ الدخول :٢٠١٣/٩/٢٧م

المجموعة الثانية [1] :

قال النبي □ : " لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنماً والصدقة مغرماً . " [2]

وقال : " الناس كلهم كأسنان المشط . "[3]

وقال : " من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه ."[4]

المجموعة الثالثة [5] :

قال النبي : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . "[6]

---

(١) البلاغة (علم البيان) ١ث ، ٣٩-٤٥-١٤٦

(٢) لم أجده بهذا اللفظ . ورواه عبد الصمد الطستي بلفظ :" لن تزال هذه الأمة على الفطرة ما لم تكن الخلافة ملكاً ، والصدقة مغرماً ، والأمانة مغنماً "، متاح على موقع المكتبة الإسلامية : WWW.Islamweb.net تاريخ الدخول :٢٠١٣/٩/٢٧م

(٣) أخرجه الشهاب في مسنده : ١٨٤ . والشوكاني في الفوائد المجموعة : ٦٢٨ ونقل عن السخاوي أنه موضوع . سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني: ٥٩٦ ، متاح على موقع المكتبة الإسلامية : WWW.Islamweb.net،تاريخ الدخول :٢٠١٣/٩/٢٧م

(٤) صحيح البخاري ،كتاب الجهاد، ٢٩٢٥ . صحيح مسلم ،كتاب السِّير : ٣٣٠١ ، متاح على موقع المكتبة الإسلامية : WWW.Islamweb.net ،تاريخ الدخول :٢٠١٣/٩/٢٧م

(٥) البلاغة (علم المعاني)٢ث ف٢ ، ٢٤-٥٨

(٦) رواه مالك في الموطأ ،كتاب حسن الخلق : ١٦١١ ، وأحمد في مسنده : ٨٧٥٢ ، والحاكم في مستدركه : ٤١٥٢ ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه ، متاح على موقع المكتبة الإسلامية : WWW.Islamweb.net،تاريخ الدخول :٢٠١٣/٩/٢٧م

وقال □ : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . "[١]

المجموعة الرابعة[٢] :

قال النبي □: " الحياء شعبة من الإيمان . "[٣]

وقال □: " صبراً آل ياسر فموعدكم الجنة ."[٤]

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان، ١٢ . صحيح مسلم ، كتاب الإيمان : ٦٧ ، متاح على موقع المكتبة الإسلامية : WWW.Islamweb.net ،تاريخ الدخول :٢٠١٣/٩/٢٧م

(٢) البلاغة والنقد ٢ث ف١ ، ٤ -٥٨

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان، ٨ . صحيح مسلم ، كتاب الإيمان : ٥٣ ، متاح على موقع المكتبة الإسلامية : WWW.Islamweb.net ،تاريخ الدخول :٢٠١٣/٩/٢٧م

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء : ٤٤٤ ، وابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، كتاب المناقب : ٤١٤١ ، متاح على موقع المكتبة الإسلامية : WWW.Islamweb.net ،تاريخ الدخول :٢٠١٣/٩/٢٧م

ثالثاً : الشواهد الشعرية :

فاقت الشواهد الشعرية على الشواهد الأخرى كمياً ، فنجدها جليَّة بارزة في كل موضوع وقضية بلاغية ، ولم تكن هذه الشواهد على مستوى ثابت في البناء الفني ، فالبعض يشتمل على صور وأخيلة رائعة ، ويحوي معانٍ عميقة ، ويقوم على ألفاظ جزلة موحية ،وسأعرض بعضا منها موزعة على مجموعات تراعي المقررات :

المجموعة الأولى [1] :

قال مالك بن المريب :

وخُطَّا بأطراف الأسنة مضجعي ورُدا على عيـنيّ فضل ردائيا

ولا تحسداني بارك الله فيكما من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا

وقال النابغة :

ولست بمستبق أخا لا تُلمُّهُ على شعث أيُّ الرجال المهذّب

(١) البلاغة (علم المعاني) ٢ ث ف١ ، ٢١-٨٨

المجموعة الثانية [1] :

قال أحمد شوقي :

يا أفصح الناطقين الضـــاد قاطبـــةً حديثك الشّـــهد عند الذائـــق الفهـــم

وقال المتنبي :

وما الموت إلاسارق دقَّ شخصه يصول بلا كـــفٍّ ويسعى بلا رجل

وقال أبو الحسن التهامي في رثاء ابنه :

فالعيش نوم والمنية يقـــظـــة والمـرء بيـــنـــهما خـــــيال ســـارٍ

وقال أبو العلاء المعري :

وإني وإن كنت الأخير زمانـــــهُ لآت بـما لم تســـــتطعه الأوائـــل

وقال أبو تمام :

ليس الحجاب بِمُقْصٍ عنكَ لي أملاً إن الـسماء تُرجَّى حـــــــــين تَحْتجب

وقال جرير :

ألستم خير من ركب المطـــــــايا وأنـــدى العـــالمـــــــــين بطـــون راح

(١) البلاغة والنقد ٣ ث ف١ ، ١٧-٢٠ -٣٣ -٦٥-٧٢-٧٧

المجموعة الثالثة [1] :

قال ابن زريـــق البغدادي :

لا تعـــذليه فإن العذل يولـــــعه قد قلت حقاً ولكـــن ليس يسمعه

وقال المتنبي :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبـي وأسمعت كلماتي من به صمـــم

وقال العباس بن الأحنف :

أسرب القطا هل من يعير جناحه لعلِّي إلا من قد هـويت أطـير

وقال الصَّبِّي :

إلى الله أشكو لا إلى الناس إنني أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

نلاحظ أن الشواهد الشعرية السابقة مختارة من شعر شعراء مشهورين ، ومنتقاة من نماذجهم الأدبية الرفيعة ،كما أنها تحمل صورا وتراكيب غاية في الجمال والبيان ، إضافة إلى تنوع أغراضها بين الوصف والمدح والغزل والرثاء والفخر ، لذا جاءت الذائقة الأدبية عالية وواضحة في عملية الاختيار.

وقد لوحظ في كتب المعاهد ، مقطوعات شعرية لشاعر واحد [1] ،أُستُشهد بها في قضايا بلاغية ،كقول البارودي في وصف النجوم :

---

(١) البلاغة والنقد ٢ث ف١ ، ٣٥ -٤٨ -٧٥ -٨٤

أَرعى الكـــواكبَ في السماء كأنَّ لي عنـــد النجـــوم رهـــينة لم تدفـــعِ

زُهرٌ تألّـقُ في الفـــــضاء كأنـــها حَبَـبٌ تردَدَ في غـــدير مُتـــــرع

كأنَّـــها حول المـــجرّ حمـــــائـمٌ بـيضٌ عكفـــن على جوانب مشـرع

وترى الثُّـــــريا في السماء كأنّهـــا حلقات قُـــــرطٍ بالجـمـــان مرصـع

وكأنَّهـــــــا أُكـرٌ توقـّد ضـــــوؤُها بالكهُربـاءَةِ في سمـــــاوَة مصـــــنع

وكقول ابن زيدون وهو في السجن :

لم تطوِ بـُردَ شـبـــــــابي كبـــرةٌ وأرى برقَ المشيب اعتلَى في عارض الشَّعرِ

لا يُهنِئُ الشامتَ المرتاحَ خـاطِـــــــرُهُ أنّي مُعَنَّى الأمَاني ضائـعُا لخَـــطـرِ

هل الرياحُ بِنجمِ الأرضِ عاصـــــــفة أمِ الكســـوفُ لغير الشمس والقمر

إن طالَ في السجن إيداعي فلا عجـب قد يـــودَعُ الجفنُ حدَّ الصارمِ الذَّكـرِ

ففـي اختيـار المقطوعـات السـابقة دلالـة علـى وعـي المؤلفين؛حيـث وظفـوا تلـك الاختيـارات بمـا يخـدم التحليـل –سـأقف عليـه في المبحـث الثـاني مـن الفصـل الثـاني- ،مـن جهـة أن البيـت محـل الشـاهد إنمـا يـرتبط بسـياقه ، وقـد تكـون الصـورة ممتـدة، وقـد يُعتمـد علـى إدراك ملامـح الشـاهد علـى قـراءة ماقبلـه ومـا بعـده ، وذلـك مـن علامـات الـذوق الأدبي العالي .

---

(١) البلاغة (علم البيان) ١ث ، ٤٣ -٥٣

كما يُلحظ الابتعاد عن الاستشهاد بالمغمورين من الشعراء، وعن إنتاج النظّامين – غالبا – حتى عندما يُمثّل على الرديء من الشعر ، فإن الاستشهاد عليه يكون بشعر هؤلاء الفحول ، وقد يكون لذلك التوجه قيم تربوية تعليمية ، تتمثل في بثِّ الثقة بقدرات الطلاب ، فالشعراء الكبار لم يسلموا من الأخطاء في أعمالهم الأدبية ، والتعليم لا بد أن يكون على موائد هؤلاء الفحول ، لشيوع إنتاجهم ، ومعرفتهم من الجميع .

ومن أمثلتهم على رديُ الشعر ، قول حسان بن ثابت – رضي الله عنه – في مدح مُطعم بن عدي:

ولو أن مجداً أخلد الدهر واحدا من الناس أبقى مجده الدهر مُطعماً [1]

فقد خالف قواعد النحو ، بإرجاع الضمير في (مجده) إلى متأخر في اللفظ والرتبة.

وكقول امرئ القيس يصف شعراً:

غدائره مستشزرات إلى العلا تضل المدارى في مثنى ومرسل [2]

فأورد كلمة (مستشزرات) ، وعابها النقاد ، لثقلها وصعوبة نطقها .

لكن ينبغي أن يُلاحظ أن استعمال هذا المقياس يحتاج إلى وعي ذوقي ؛ فهناك كلمات ثقيلة على اللسان كهذه الكلمة، "ولكن قليلاً من التفكير يهدينا إلى أن هذا التنافر لازمٌ لزومًا فنيًّا مؤكدًا؛ لأنه ينطبق على الصورة التي يريد الشاعر أن يرسمها لهذه

(١) البلاغة والنقد ٢ث ف١، ١٦

(٢) البلاغة (علم البيان) ١ث ، ١٥

الخصـلات الكثـيرة الكثيفـة الـتي تتـزاحم علـى رأس محبوبتـه، وترتفـع إلى أعلـى، ويغيـب بـاقي الشـعر الكثيـف تحتهـا مـن مفتـولٍ ظـل علـى انتظامـه، وغـير مفتـولٍ انطلـق هنـا وهنـاك، صـورة غنيـة رائعـة... إذا أجـدنا تصـوُّرها واسـتمعنا إلى (مستشـزرات) أدركنـا أنهـا تقتضـي هـذا التنـافر... حقًّـا هـو تنـافر، ولكـن مـا أقـوى انسـجامه مـع الصـورة المرسـومة الـتي قصـدها الشـاعر. "[1] ،فالثِقـل مـن أهـم مظـاهر فصـاحتها ، فقـد صـوِّرت لنـا المعـنى تصويرا دقيقا.

وقد عيب على المتنبي قوله حينما مدح سيف الدولة :

مبارك الاسم أغــرُ الـلَّـقـب كريم الجرشّى شريف النَّــسب [2]

فقد أورد كلمة غريبة ،وهي (الجـرشى) .

وعيب على الفرزدق أيضا حين قدّم وأخّـر في قوله:

وما مـثله في الناس إلا مـلكاً أبو أمِّـــــــه حيٌّ أبوه يقـاربه [3]

لخفـــــاء المعنى .

---

(١) الشـاهد الشـعري في مبحثـي الفصـاحة والبلاغـة، د.محمـد عيـد شـبايك،١٤٣١هــ ، متـاح علـى موقـع الألوكـة الأدبية واللغوية :

/http://www.alukah.net/literature_language

(٢) البلاغة (علم البيان) ١ث ، ١٦

(٣) المصدر السابق ١٧

وفي المقابل كانت هناك بعض الشواهد الشعرية خالية من الصور ، سطحية المعنى ، سهلة الألفاظ ، لا تكاد تلمح فيها مسحة جمالية ، ولا تظفر منها بصورة بيانية ، وسأعرض بعضا منها موزعة على مجموعات تراعي المقررات :

المجموعة الأولى [1]:

قول القطامي:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقول أبو العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أيَّ مفسدة

وقول يزيد بن محمد المهلبي :

وإن الناس جمعهم كثير ولكن ما تُسرُّ به قليل

وقول أبو الأسود الدؤلي:

يا أيها الرجل المعلم غيرهُ هلاّ لنفسك كان ذا التعليم

وقول الشافعي:

من راقب الله رجع عن سوء ما كان صنع

(١) البلاغة والنقد ٢ث ف١ ، ٧٦/٩٠/٥٤/٣٥/٤٥

ما طــار طير وارتفـــــع إلا كما طـار وقــع

المجموعة الثانية [1]:

قول الشاعر :

فالـــوجه مثل الصبح مبيَّــض والشَّـــــعر مثل اللـــــــيل مسودّ

وقول معن بن أوس :

أعلمه الرمـــــــاية كلّ يــوم فلـــما اشـــتدّ ســـــاعده رمـــاني

فالشــواهد الشــعرية الســابقة ، لم يــراعَ في اختيارهــا اللفــظ الجــزل ، ولا المعــنى العميــق ، ولا الصــورة الفنيــة المعــبّرة ؛ لاعتمــاد المــؤلفين عليهــا ،في ترســيخ القواعــد البلاغيــة، وتبعــا لــذلك كانــت الذائقــة الأدبيــة خافتــة ،غــير ظــاهرة في هــذه النوعيــة مــن الشواهد .

(١) البلاغة والنقد ٣ث ف١ ، ١٢٥ /١٣٢

رابعاً: الشواهد النثرية :

تنوعت الشواهد النثرية بين الخطب والأمثال والحكم والرسائل والوصايا ،ولم تكن هذه الشواهد النثرية على درجة واحدة في البناء الفني ،فبعضها يشتمل على عبارات بيانية وصور معبِّرة بألفاظ موحية ،وسأعرض بعضا منها موزعة على مجموعات تراعي المقررات :

المجموعة الأولى[1] :

قال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– : " لو كنت تاجرا ما اخترت غير العطر ، إن فاتني ربحه لم تفتني ريحه " .

وقال علي بن أبي الطالب –رضي الله عنه– في معرض حديثه عن زمن الفتن :

" من أدرك ذلك الزمان فلا يطعن برمح ولا يضرب بسيف ولا يرم بحجر واصبروا فإن العاقبة للمتقين ".

وورد في المثل : " عند الصباح يحمد القوم السُرى ".

وقال أبو جعفر المنصور : " لا تخرجوا من عزِّ الطاعة إلى ذِّلِّ المعصية ".

المجموعة الثانية [2] :

قال الفضل بن السهل : " لايصلح للصّدر إلا واسع الصّدر" .

---

(١) المصدر السابق ٢٣-٢٨-٦٤-١٠٧

(٢) البلاغة (علم المعاني) ٢ث ف١ ،٢٣-٣١-٩١

نلحظ أن المقابلة في المثال السابق أحدثت أثرا مهما فينا ؛لاجتماع المتضادات الذي ساعد على توضيح المعنى وتجليته وتثبيته في الذهن .

وقالت خديجة – رضي الله عنها – للرسول – صلى الله عليه وسلم – : " إنك لتصل الرحم وتصدق في الحديث وتحمل الكلّ وتعين على نوائب الحق " .

ويقول أحمد شوقي في وصف الصوم :

" الصوم حرمان مشروع، وتأديب بالجوع ،وخشوع لله وخضوع، يستثير الشفقة ،ويحضُّ على الصدقة، ويكسر الكِبرَ، ويُعلِّمُ الصبرَ" .

المجموعة الثالثة [1] :

قال حاجب بن زرارة التميمي من خطبة له بين يدي كسرى : " إن العرب أمة قد غلُطت أكبادها ، واستحصدت مِرّتُها .وهي العلقم مرارة والعسل حلاوة والماء الزُّلال سلاسة ".

وجاء في الحكم :

"واضع المعروف في غير أهله كالمسرج في الشمس والزارع في السباخ" .

وقال ابن المقفع في وصف صديق له :

" وكنت تراه ضعيفاً فإذا جدّ الجدُّ فهو الأسد عارياً ".

---

(١) البلاغة (علم البيان) ١ث ،٢٠-٣٤-٣٤-١٥٢

وتقول الأعرابية عندما سُئِلت عن ابنها: " أنفع من غيث وأشجع من ليث يحمي العشيرة ويبيح الذخيرة ويحسن السريرة ".

فالسجع في هذا الشاهد جاء عفو الخاطر غير متكلف ،فكانت ألفاظه تابعة لمعانيه ؛فأحدث إيقاعا صوتيا جميلا ساعد على الإصغاء إليه ،وسهولة الحفظ.

وورد في المثل : " لكل جواد كبوة " .

على أن بعض الاختيارات النثرية ، لم ترقَ إلى البيان العالي ،إلا أنها سيقت لإبراز عيوبِ الكلام [1] :

كقول الثعالبي حينما وصف برداً شديداً :" إنه برد يقضقض الأعضاء " .

فكلمة (يقضقض)تنفر الأذن عند سماعها ، ويتعثر اللسان عند نطقها .

وقول الضبي حينما سأل رجلاً عن فرس له معها مُهُرها :" هل رأيت الخيفانة القباء يتبعها الحاسن المرهف ".

وقول الأعرابي حينما سُئل عن ناقة فقال :" تركتها ترعى الهُعْخُع "

(١) المصدر السابق ١٦-٢٠-٢٢